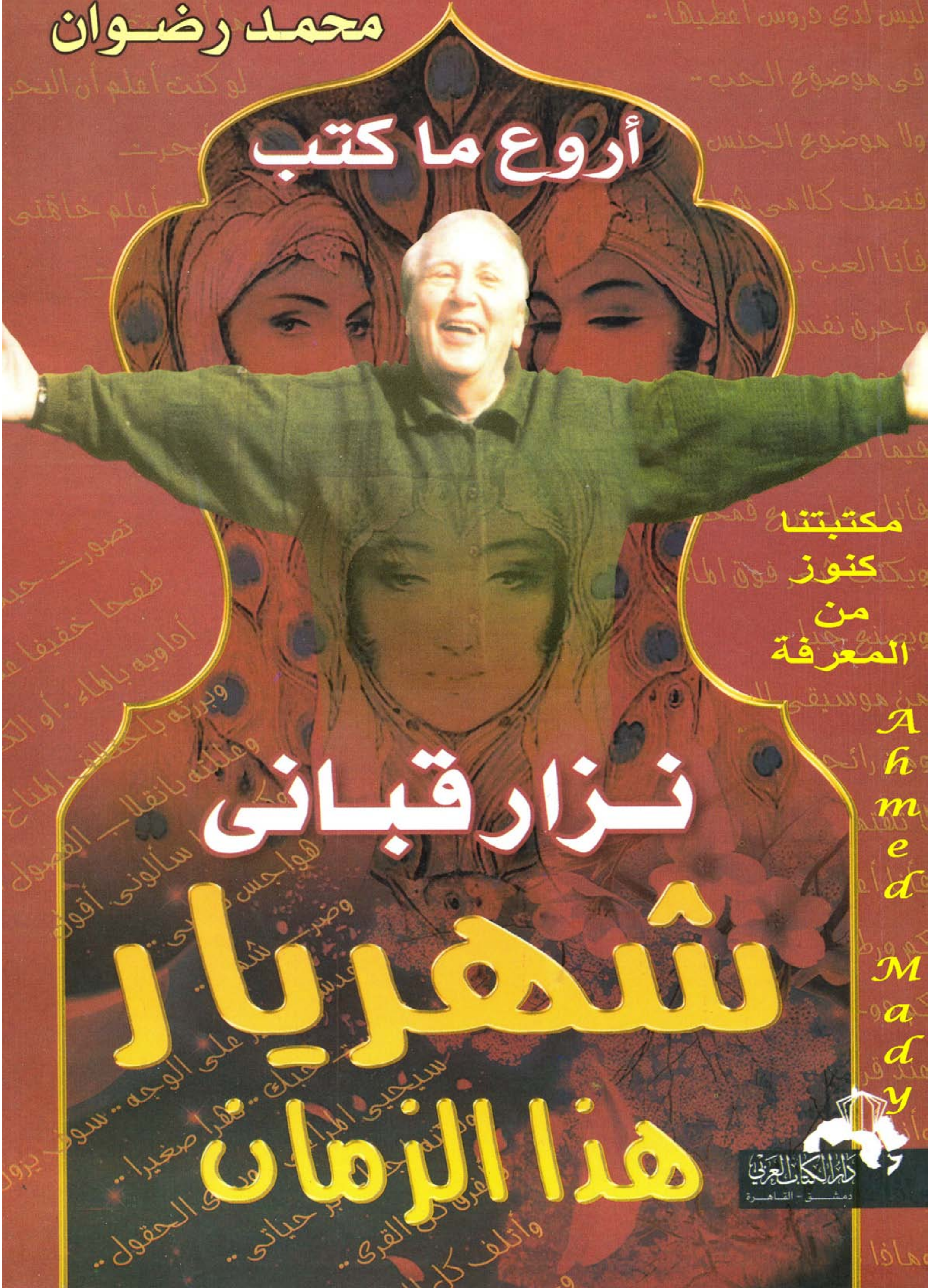
149

محمد رضوان



أروع ما كتب

نزار قباني

شهريار هذا الزمان

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



تناولت العديد من الأقلام نزار قبانى وشعره فى المرأة باعتباره شاعر للمرأة والجنس .. أى شاعرا للغزل الحسى بل إن ناقدا أكاديميا كبيرا خصص كتابا كاملا للموازنة بين نزار وعمر بن أبى ربيعة باعتبارهما من شعراء الغزل الحسى.

لكن الأديب الناقد محمد رضوان شاء أن يخوص فى بحار مجهولة لنزار لم يلتفت إليها النقد كثيراً ..

تناول كاتبنا نزار قبانى شهريار القرن شهريارالقرن العشرين الذى حقق شهرة مدوية بشعره الصارم الذى تجاوز فيه الخطوط الحمراء فى عالمى المرأة والسياسة .. والذى اكتسب بسببه شهرة واسعة كفارس للغزل الحسى .. لكن الحقيقة أن شاعرنا ظل يدور فى حلقة مفرغة على مدى نصف قرن باحثا عن الحب الحقيقى الذى ينعش الروح ويبهج القلب لكن دون جدوى .. فكرر مأساة شهريار فى عالم النساء.

إنه كتاب جديد للمؤلف الذى عرف نزار عن قرب فأحس به وغاص فى أعماقه ليستخرج لنا الأصداف الحقيقية من بحار نزار المجهولة والخفية!

الناشر

I.S.B.N. 977-376-104-5
9 789773 761042

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

أروع ما كتب

نزار قباني
شهريار هذا الزمان

◆

محمد رضوان

◆

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الإهداء

في مرفأ عينيك الأعمق
أحلم بالبحر وبالزنبق
وأصيد جميل الأحلام
بقصيد سابح في زورق

القاهرة ٢٠٠٥

محمد رضوان

مقدمة

ذكريات عن .. نزار

يرجع تعرفي على شعر نزار قباني إلى زمن مبكر في حياتي وأنا مازلت في المرحلة الثانوية ببلدتي الجمالية بمحافظة الدقهلية بدلتا مصر، حيث تعرفت على شعره من خلال مكتبة الأديب الشاعر محمد إبراهيم الديب حيث أطلعني صديقي الشاعر محمد أحمد الديب على ديوان طفولة نهد، لنزار من مكتبة خاله المغترب في أمريكا.

وعندما التحقت بجامعة القاهرة بدأت أتعرف على نزار شخصيا أثناء حضوره إلى القاهرة بين الفينة والأخرى، وكنت أراسله أثناء وجوده في بيروت خاصة بعد حرب يونيه ١٩٦٧، وكان يرسل لي بعض دواوينه الجديدة، وأذكر أنه أرسل لي قصيدته «هوامش على دفتر النكسة» وكانت ممنوعة في ذلك الوقت، وقد أرسل لي ردا تفصيليا على فكرة إصداري دراسة موسعة عن شعره وللأسف فقدت مني تلك الرسالة أثناء فترة اغترابي عن مصر وقد توالت لقاءاتي مع نزار...

التقيت به في مبنى الاتحاد الاشتراكي العربي على كورنيش نيل القاهرة أثناء الاحتفال بذكرى ميلاد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في يناير ١٩٧١ حيث ألقى قصيدة قال في مطلعها:

زمانك بستان.. وعصرك أخضر
وذكراك عصفور من القلب ينقر
ملأنا لك الأقداح، يا من بحبه
سكرنا، كما الصوفي بالله يسكر
دخلت على تاريخنا ذات ليلة
فرائحة التاريخ مسك وعنبر

وأذكر أنني حاولت أثناء لقائي به قبل هذا الاحتفال وبعده أن أصلح ذات البين بينه وبين الشاعر الكبير صالح جودت بعد المعارك القلمية الساخنة التي دارت بينهما حول قصيدة «هوامش على دفتر النكسة» في صيف ١٩٦٧، ولكنه تمسك بموقفه ولم تفلح جهودي في تسوية الخلاف بينهما.

وقد التقيت بنزار مرة أخرى أثناء الاحتفال بذكرى عميد الأدب العربي «طه حسين» بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة في شتاء سنة ١٩٧٤ بعد معركة أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة وألقى قصيدة رائعة تحت عنوان «حوار ثوري مع طه حسين» قال فيها:

لست أدري من أين أبدأ بوحي
شجر الدمع شاخ في أجفاني
كتب العشق، يا حبيبي، علينا
فهو أبكاك مثلما أبكاني
عُمر جرحى.. مليون عام وعام
هل ترى الجرح من خلال دخان؟
نقش الحب في دفاتر قلبي
كل أسمائه.. وما سماني
قال: لابد أن تموت شهيدا
مثل كل العشاق، قلت عساني
وطويت الدجى أسائل نفسي:
أبسيف.. أم وردة قد رماني؟
كيف يأتي الهوى.. ومن أين يأتي
يعرف الحب دائما عنواني

وهي القصيدة التي أثار فيها الأشجان حول دور مصر القومي وتخلي البعض عنها أثناء معركة أكتوبر المجيدة التي استردت فيها الكرامة العربية.

ثم سافرت إلى سلطنة عُمّان لتأسيس مجلة السراج كأول مجلة أدبية في مطلع عام ١٩٧٦ وأتيحت لي فرصة لقائه سنة ١٩٩٢ في أثناء زيارته للعاصمة مسقط وأجريت معه حوارا مطولا في مقر إقامته بفندق الخليج ونشرته بالمجلة

ثم تابعته بعد ذلك.. تابعت معاركه السياسية والشعرية مع العديد من القوى والاتجاهات في العالم العربي وهو صامد حتى بعد أن اختار منفاه الاختياري في لندن في مطالع التسعينيات حتى فوجئت برحيله عن الحياة في أحد مستشفيات لندن في ٣٠ أبريل ١٩٩٨ وقد وجدت أن في عنقي دينا نحو هذا الشاعر الكبير لدراسة شعره من مختلف جوانبه..

وإذا كنت قد اخترت المحور السياسي في دراستي السابقة «نزار قباني: قصائد خلف الأسوار»[(١)] فإنني هذه المرة اخترت المحور العاطفي والوجداني في حياة نزار وشعره.

* * *

ولأن محور نزار العاطفي الوجداني محور متسع متشعب الجوانب، ولأن هذا الجانب تختلف فيه الآراء والأفكار، فإنني اخترت محورا مختلفا هذه المرة.. لم أتناول نزار شاعر المرأة.. أو الجنس في شعره.. أو تعاطفه ودفاعه الحار عن المرأة وعن حريتها وقضاياها التي تعاني منها في مجتمعنا العربي على مدى نصف قرن.

إنما سأتناول محورا آخر هو مفتاح شخصية نزار قباني، الذي لم يأخذ حقه من قبل بالدراسة والتحليل ألا وهو غربة نزار قباني الروحية وإحساسه الحاد بالوحدة والضياع رغم تنقله من زهرة إلى زهرة وكثرة تجاربه مع النساء حتى اشتهر بأنه «شهريار العصر».. فهل كانت كل هذه المغامرات النسائية وانغماسه في كل تلك التجارب قد أسعدت قلبه وروحه ووجدانه؟

(١) صدرت عن دار الكتاب العربي (القاهرة - دمشق) سنة ٢٠٠٤ .

أرى أن نزار قباني رغم إبحاره في دوامات الحب ومغامراته النسائية جاءت مرحلة في حياته أحس فيها بالملل والحيرة والغربة الروحية، وظهر ذلك واضحا في ديوانه «الرسم بالكلمات» (سنة ١٩٦٦) حين وصف مأساته الوجدانية في قوله:

مأساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة المأساة
إني كمصباح الطريق . . صديقتي
أبكي . . ولا أحد يرى دمعاتي
الجنس كان مُسكِّنا جرَّبته
لم ينه أحزاني ولا أزماتي
والحب أصبح كله متشابهاً
كتشابه الأوراق في الغابات

ورأى نزار أن يخرج من هذه الدائرة المفرغة الجهنمية بالفن.. بالشعر الذي يبدعه عله يجد في ذلك ذاته:

فمك المطيب . . لا يحل قضيتي
فقضيتي في دفتري ودواتي
كل الدروب أمامنا مسدودة
وخلاصنا في الرسم بالكلمات

ولكن هل وجد نزار في فنه الشعري خلاصا من ملله وأحزانه الروحية وخواء قلبه؟

أرى أن نزار في رحلته الطويلة مع المرأة والجنس على مدى نصف قرن من الزمان منذ ديوانه الأول «قالت لي السمراء» (١٩٤٤) حتى دواوينه الأخيرة «أنا رجل واحد.. وأنت قبيلة من النساء» (١٩٩٣) خمسون عاما في مديح النساء (١٩٩٤) تنويعات نزارية على مقام العشق (١٩٩٦) كان يبحث عن المرأة المستحيلة التي تملأ

خواء روحه، وتسعد قلبه، وتفعم كيانه بالحب والبهجة والأمل.. كان نزار قلبا عاشقا يبحث عن تلك العاطفة الدافئة التي حلم بها طويلاً.. وبحث عنها في وجوه كل النساء اللائي عرفهن في مختلف البقاع والأصقاع ولكنه لم يجدها.. وكأنه كان يلهث وراء سراب خادع.. أضناه ثم حطمه في النهاية!

وهنا تذكر نزار مأساة الملك شهريار الذي كان يتزوج كل يوم امرأة ثم يقتلها حتى تزوج بشهرزاد التي أخذت تروي له الليالي الساحرة المليئة بالأحداث والوقائع فأنسته مأساة ملله وغضبه وجنونه.. لأنه وجد في شهرزاد النجوى والسلوى والحب الحقيقي.. وليس في حكايات ألف ليلة وليلة!

عندما تذكر نزار مأساة الملك شهريار تذكر مأساة روحه الهائمة في بيداء الوجود بحثًا عن الحب المستحيل فأثار ذلك أشجانه ودموع قلبه:

لا أحد يفهمني . .
لا أحد يفهم ما مأساة شهريار
حين يصير الجنس في حياتنا
نوعا من الفرار . .
مخدراً نشمه في الليل والنهار
ضريبة ندفعها
بغير ما اختيار
حين يصير نهدك المعجون بالبهار
مقصلتي . . وصخرة انتحاري
. . . .
صديقتي . . مللت من تجارة الجواري
مللت من مراكبي . . مللت من بحاري

لو تعرفين مرة . . بشاعة الإحساس بالدوار
حين يعود المرء من حريمه . .
منكمشا كدودة المحار
وتافهاً كذرة الغبار
حين الشفاه كلها
تصير من وفرتها . . كالشوك في البراري
حين القلوب كلها
تدق في رتابة كساعة الجدار

ثم يخاطب صديقته بحزن وأسى:

لن تفهميني أبدا . . . .
لن تفهمي أحزان شهريار
فحين ألف امرأة . . ينمن في جواري
أحس أن لا أحد . . ينام في جواري [1]

هنا يسفح نزار دموع شهريار الشاعر الذي يتعذب ويشعر بالشقاء والملل والحزن والغربة الروحية رغم أنه شرب حتى الثمالة من بحار الحب، وعرف ألف امرأة وامرأة لكنه أبداً لم يجد الحبيبة المنشودة، مما يدفعه إلى اللجوء للعرافة حتى تقرأ له فنجانه عساها تفك عقده، وتريح نفسه الحائرة الحزينة:

جلست . . والخوف بعينيها
تتأمل فنجاني المقلوب
قالت : يا ولدي لا تحزن
فالحب عليك هو المكتوب

(١) ديوان «الرسم بالكلمات» (١٩٦٦) قصيدة دموع شهريار.

من يطلب يدها . .

من يدنو من سور حديقتها . . مفقود

من حاول فك ضفائرها

يا ولدي . . مفقود . . مفقود!

ثم تصارحه قارئة الفنجان بمأساته الحقيقية.. وتفسر له سر أحزانه العميقة.. وأساه وضياعه في بحار الحب يظل تائها ضائعا تبحر به سفينته من ضياع إلى ضياع دون أن ترسو على شاطئ الأمان.. أو على جزيرة للحب الصادق:

بصَّرت . . ونجَّمت كثيرا . .

لكني . . لم أقرأ أبداً

فنجاناً يشبه فنجانك

لم أعرف أبداً . . يا ولدي

أحزاناً . . تشبه أحزانك

مقدورك أن تمشي أبداً

في الحب . . على حد الخنجر

وتظل وحيداً كالأصداف

وتظل حزيناً كالصفصاف

مقدورك أن تمضي أبداً

في بحر الحب بغير قلوع

وتحب ملايين المرات

وترجع . . كالملك المخلوع (١)

(١) راجع ديوان «قصائد متوحشة» (١٩٧٠) قصيدة قارئة الفنجان.

إنها أحزان قلب نزار عندما يخلو إلى قلبه ويراجع رحلته العاطفية على مدى نصف قرن التي غنى فيها وغرد على أغصان الحب والجمال.. وغرد فيها للمرأة أحلى أناشيده لكنه لم يجد في النهاية ذلك الحب الذي يسعد روحه ويروي قلبه الظامئ للحنان والحب الحقيقي.

إنها مأساة شهريار الفتى المهزوم الذي سار على طريق الأشواك وصارع أسماك القرش ولكنه لم يستطع أن يجد عصفور الحب الذي يغرد له ويمسح على رأسه، ويدنيه على صدره بالحنان والحب فيطلق صرخة التحدي من رجل مهزوم في دنيا الحب رغم صدق حبه وعمقه وحرارة عواطفه هذه المرة لكنه أيضا لم يجد إلا السراب الخادع:

لم يحدث أبداً . . أن أحببت بهذا العمق
لم يحدث . . لم يحدث أبداً . .
أني سافرت مع امرأة
لبلاد الشوق
وضربتُ شواطئ عينيها
كالرعد الغاضب، أو كالبرق
فأنا في الماضي لم أعشق
بل كنت أمثل دور العشق
لم يحدث أبداً . . .
أن أوصلني حب امرأة حتى الشنق
لم أعرف قبلك واحدة
غلبتني . . أخذت أسلحتي
هزمتني داخل مملكتي

نزعت عن وجهي أقنعتي
لم يحدث أبداً سيدتي
أن ذقتُ النار . . ذقتُ الحرق

* * *

ثم يخاطب تلك المرأة بكل ثقة العاشق الصادق المهزوم في حبه بأنها لن تجد مثيلا له في صدق حبه:

كوني واثقة . . سيدتي
سيحبك آلاف غيري
وستستلمين بريد الشوق
لكنك لن تجدي بعدي
رجلاً يهواك بهذا الصدق
لن تجدي أبداً
لا في الغرب . . ولا في الشرق (١)

* * *

وفي رحلة بحثه الطويلة عن المرأة الحبيبة المنشودة سُئل نزار ذات يوم عن مواصفات المرأة التي قد يحبها فأجاب: بأنه قد يلتقي بفينوس ولا يحبها.. قد يلتقي بأفروديت ولا يحبها.. وقد يلتقي بعشتروت.. أو إيزيس أو نفرتيتي ولا يحبهن.

فقد تعيش المرأة وتموت دون أن تجد رجلها الذي تبحث عنه.. وقد ينتقل الرجل من امرأة إلى ثانية إلى عاشرة. ولا يجد المرأة الحقيقية التي انتظرها منذ ولادته.

وتساءل نزار بحيرة :

«متى سألاقي المرأة التي سوف أحبها؟

(١) ديوان قصائد متوحشة (١٩٧٠) قصيدة يوميات رجل مهزوم.

«من هي المرأة التي ستكسرني عشرة ملايين قطعة؟
«في أي مقهى من مقاهي العالم تنتظرني؟
«ماذا تلبس؟ كيف تتكلم؟ كيف تفكر؟
أسئلة لا تطرح . .
ففي الحب شيء كثير من طبيعة الزلازل
ومن يستطيع أن يستجوب زلزالا؟

وفي موضع آخر قال نزار عن الثبات والتحرك في الحب:

«الحب العظيم ضد الثبات والتحجر
إنه موجة ترفعنا إلى سابع سماء.. وترمينا إلى سابع أرض.
إنه بحر لا سواحل معروفة له..

«والذين يبحثون في الحب عن جزيرة، أو خشبة يتمسكون بها، خير لهم أن لا يسافروا

«الحب هو أن نركب دائما حصان الدهشة.. وأن نسبح في المياه التي منعوا السباحة فيها بسبب هياج البحر.. ومتى دخل الحب في نطاق العادات اليومية يتحول إلى وظيفة ككل الوظائف الحكومية، وصار مؤسسة ومتى تحول الحب إلى مؤسسة.. انتحر

«إنني حريص على أن يبقى حبي برقا يضيء الأشياء ثم يختفي.. وحريص على أن يظل وجه محبوبتي في المنطقة الكائنة بين الإضاءة وبين التعتيم.. وحريص على أن تكون الأسئلة التي أطرحها في الحب أكثر من الأجوبة التي أتلقاها».

* * *

ثم كانت همسات نزار الأخيرة الحزينة تحت عنوان «البيان الأخير من الملك شهريار» يحاول أن يقنع ملهمته الأخيرة أنها الأثيرة لديه لكن دون جدوى:[1]

انتهى العصر النزاري
فلا ورد دمشقي . . ولا كحل حجازي
ولا عطر فرنسي

(١) ديوان «تنويعات نزارية على وتر العشق» (١٩٩٦).

ولا شعر على الأكتاف مجنون
ولا نهد إلى الماء يسافر
خرجت فاطمة عن طاعتي . .
خرجت راوية . . خرجت رانية
خرجت عن سلطتي أوعية المسك
وموسيقى الأساور
هربت كل العصافير التي خبأتها
تحت الضفائر

* * *

انتهى العصر النزاري الذي عاصرته
وانتهى الحب كما نعرفه
ودخلنا في زمن النرجسية
يبست ذاكرة العشاق . . حتى
لم يعد يذكر قيس . . اسم ليلى العامرية!

* * *

وهكذا اكتشف شهريار هذا العصر.. أنه رجع مهزوما من رحلة حبه في البحار الواسعة بعد أن أضناه التطواف وصارع الحيتان، وتعرض للرياح الهوج والأعاصير وأسماك القرش، وهجوم قراصنة البحر المدججين بالحراب والسيوف...

ولذلك كانت دموعه الأخيرة قبل الرحيل تنعي مأساة هذا القلب العاشق الذي ظل يبحث عن المستحيل بلا جدوى.. واكتشف في النهاية زيف ذلك السراب الذي خدع طويلا شهريار هذا الزمان!

القاهرة يناير ٢٠٠٥

محمد رضوان

الفصل الأول
سيرة شاعر

لا تطلبي مني حساب حياتي
إن الحديث يطول يا مولاتي
كل العصور أنا بها فكأنما
عمري ملايين من السنوات
تعبت من السفر الطويل حقائبي
وتعبتُ من خيلي ومن غزواتي

نــــزار

سيرته وثقافته

كان نزار قباني من أسرة من الأسر الدمشقية المتوسطة الحال، لم يكن أبوه غنيا ولم يجمع ثروة، كل مدخول الأسرة كان من معمل الحلويات الذي كان يملكه، وينفقه على إعاشة تلك الأسرة وتعليم أبنائه، وتمويل حركات المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

وفي وسط هذه الأسرة البسيطة.. وفي بيئة دمشق الفواحة بعطور الجمال والوطنية والأصالة كان مولد شاعرنا.

ولد الشاعر نزار قباني في ٢١ مارس ١٩٢٣ في بيت من بيوت دمشق القديمة، في وقت اشتدت فيه حركة المقاومة ضد الانتداب الفرنسي في جميع ربوع سوريا، فامتدت من الأرياف السورية إلى المدن والأحياء الشعبية، وكان حي «الشاغور»، حيث تسكن أسرة نزار، معقلا من معاقل المقاومة، وكان زعماء هذه الأحياء الدمشقية من تجار، ومهنيين، وأصحاب حوانيت، يمولون الحركة الوطنية، ويقودونها من حوانيتهم ومنازلهم، وكان والد نزار، توفيق القباني، واحدا من أولئك الرجال، وكان بيته واحدا من تلك البيوت.

وفي طفولة نزار كان يحلو له أن يجلس في باحة الدار الشرقية الفسيحة، يستمع بشغف طفولي غامر، إلى الزعماء السوريين، يقفون في إيوان بيتهم، ويخطبون في ألوف الناس، مطالبين بمقاومة الاحتلال الفرنسي، ومحرضين الشعب على الثورة من أجل الحرية.

وفي ذلك البيت الوطني في حي «مئذنة الشحم» كانت تعقد الاجتماعات السياسية خلف الأبواب المغلقة، حيث توضع خطط الإضرابات والمظاهرات، ووسائل المقاومة.

وذات يوم شاهد نزار الطفل منظرا أثار خوفه وهلعه.

رأى الجنود الفرنسيين يدخلون في ساعات الفجر الأولى منزلهم بالبنادق والحراب ويأخذون والده معهم في سيارة مصفحة إلى معتقل «دمر» الصحراوي..

ومنذ يومئذ عرف نزار أن أباه كان يمتهن صناعة الحرية!

عرف نزار بعدها أن أباه يصنع الحلوى، ويصنع الثورة، وكان يعجب بهذه الازدواجية فيه، ويدهش كيف يستطيع أبوه أن يجمع بين الحلاوة وبين الضراوة!

وبعد ذلك عندما كبر نزار وأصبح شاعرا كبيرا يجمع بين شعر الحب وشعر السياسة أدرك أن هذه الازدواجية في شخصية أبيه قد انتقلت إليه وإلى شعره بشكل واضح، فشعر الحب الذي أصبح جواز سفره إلى الناس، يرافقه جواز سفر آخر يحمل شعر السياسة!

ومن هنا أصبح نزار شاعر الحب والسياسة!

ثقافته

في سن السابعة دخل نزار مدرسته الأولى، وهي «الكلية العلمية الوطنية» في دمشق، وتخرج فيها في سن الثامنة عشرة يحمل شهادة البكالوريا الأولى القسم الأدبي ومنها انتقل إلى مدرسة التجهيز حيث حصل على شهادة البكالوريا الثانية (قسم الفلسفة).

وقد لعبت «الكلية العلمية الوطنية» دورا رئيسيا في تشكيل نزار الثقافي، حيث كانت تلك المؤسسة الوطنية الخاصة تحتل مكانا وسطا بين المدارس التبشيرية التي كانت تتبنى خط الثقافة الفرنسية تبنيا كاملا، كمدرسة الفرير ومدرسة اللاييك، وبين مدرسة التجهيز الرسمية التي كانت تتبنى الثقافة العربية تبنيا كاملا.

وقد لعبت مشاعر أبيه القومية والإسلامية دورها في قراره الحكيم بإرسال أولاده إلى مدرسة تجمع بين الثقافتين.

ويرى نزار أن التزام أبيه بالخط الوطني من جهة، ورغبته في أن تكون ثقافة أبنائه مطعمة ومنفتحة على العالم من جهة أخرى، أمليا عليه أن يمسك بالعصا من وسطها، ويتصرف تصرفا وطنيا وحضاريا في نفس الوقت.

وهكذا أدخل أولاده، «معتزًا» و«رشيدًا» و«صباحًا» و«هيفاء» و«نزارًا» إلى الكلية العلمية الوطنية، وقضوا على مقاعدها أجمل أيام العمر.

كانت اللغة الفرنسية لغة نزار الثانية، لأن نظام التعليم في زمن الانتداب

الفرنسي على سوريا كان يعطي اللغة الفرنسية مركزا متفوقا ويجبر الدارسين على إتقانها كلاما وكتابة، وهكذا كان الأساتذة يأتون من فرنسا، وكانت كتب القراءة والنصوص، والشعر، والعلوم، والرياضيات، والتاريخ كلها كتبا فرنسية ومؤلفة وفق المنهاج الفرنسي.

وهكذا تشرب نزار الثقافة الفرنسية، وهو يعيش في ظلالها وفي هذا المناخ الثقافي نشأ نزار، يقرأ راسين وموليير وكورناي وموسيه، ودوفيني، وهوجو، والكسندر ديماس، وبودلير، وبول فاليري، وأندريه موروا في لغتهم الأصلية، ويتذوق الأدب الفرنسي بكل ألوانه وفنونه من منابعه.

هذا التأسيس الفرنسي أعطى نزارًا بطاقة دخول إلى الفكر الأوربي، وأتاح له أن يجلس في مقصورة «الكوميدي فرانسيز» قبل أن يرى باريس.

كانت «للكلية العلمية الوطنية» بمستواها الرفيع، ذات تأثير كبير وعميق في تكوين نزار الثقافي، خاصة أن مدرسيه فيها كانوا من صفوة رجال العلم والمعرفة، ومن كبار الشعراء والمفكرين.

وكان من حسن حظ نزار، أن معلم الأدب الأول الذي تتلمذ عليه، كان شاعرا من أرق وأعذب شعراء الشام، هو خليل مردم بك، حيث استطاع هذا الأستاذ الألمعي أن يربط نزار بالشعر منذ اللحظة الأولى، حين أملى على التلاميذ في أول درس من دروس الأدب مثل هذه الأبيات الرقيقة العذبة:

إنَّ التي زعمت فؤادَك مَلَّها
خُلقت هواك كما خُلقت هوًى لها
منعتْ تحيتها، فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا.. وأقلها

ويعترف نزار أن خليل مردم بك استمر يقطف لتلاميذه من شجرة الشعر العربي عشر زهرات جديدة في كل درس من دروسه، حتى صارت ذاكرتهم الشعرية في نهاية العام بستانا يموج بألوان الزهور الجميلة المبهجة.

ومن حسن حظ نزار، أنه كان من بين التلاميذ الذين تعهدهم هذا الشاعر في حساسيته الشعرية، فأخذه معه في نزهاته القمرية، ودله على الغابات المسحورة التي يسكن فيها الشعر، فجنب نزارًا وأترابه - بذوقه المترف وإحساسه المرهف، السير على حجارة أكثر الشعر الجاهلي، ونباتاته الصحراوية الشائكة، ودل تلاميذه على طرقات ظليلة، وواحات في الشعر العربي، أنستهم متاعب الرحلة.

ويعترف نزار أنه يدين لخليل مردم بك، بذلك المخزون الشعري الراقي الذي تركه على طبقات عقله الباطن، فإذا كان الذوق الشعري عجينة تتشكل بما نراه، ونسمعه، ونقرؤه، في طفولتنا، فإن خليل مردم بك كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلد نزار، وفي تهيئة الخمائر التي كونت خلاياه وأنسجته الشعرية [(١)]

إضافة إلى هذه التأثيرات الأولى في التكوين الثقافي لنزار، قراءاته للأدب اللبناني في الأربعينيات، فمن مفكرة أمين نخلة الريفية، وبساتين بشارة الخوري وإلياس أبي شبكة، وصلاح لبكي، وسعيد عقل، ويوسف غصوب، وفولكلوريات ميشال طراد وخزفيات إلياس خليل زخريا، تعلم نزار الخروج من البر الشعري الذي لا يتحرك إلى البحر الكبير بكل احتمالاته ومجاهيله.

أضف إلى ذلك قراءاته لشعراء الوجدان في مصر، خاصة شعراء جماعة أبوللو برقتهم وتجديداتهم في الشكل والمضمون في القصيدة العربية، خاصة دواوين علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل وأضرابهم من أقطاب المدرسة العاطفية الرومانسية في الشعر العربي، حيث نلمح تأثير هؤلاء الشعراء واضحا في شعره خاصة شعر الملاح التائه، علي محمود طه.

أما اللغة الإنجليزية فقد تعلمها نزار في موطنها، وأثناء عمله في السفارة السورية في لندن (١٩٥٢ - ١٩٥٥)، حيث وجدها تختلف عن اللغة الفرنسية كثيرا، فلها شخصية أخرى مختلفة وملامح من نوع آخر، فهي لغة واقعية أكثر منها لغة طرب، وهي قد تفتقد الإيقاع الهارموني، ولكنها تعوضك بالدقة والوضوح. وقد انتفع نزار كثيرا من هذه اللغة الدقيقة التي لا تعرف الإسراف، وجرب في كثير من

(١) نزار قباني (قصتي مع الشعر / ص ٤٦).

شعره مبدأ الكلمة المحددة، والبعد عن التطويل، وعن الإسراف في البلاغة.

ووضح تأثير اللغة الإنجليزية في مجموعته الشعرية «قصائد» وما صدر بعدها من مجموعات مثل «حبيبتي» و«الرسم بالكلمات». فكانت تأثيرات تلك اللغة فيها واضحة فيما يتعلق بمنطق اللغة، وطريقة التعامل معها.

وظل هذا المنطق اللغوي مؤثرا في قصائده، سواء العاطفية منها أو السياسية والتي تخلت عن مبالغات البلاغة القديمة، وبراويزها المذهبة.

ووضح ذلك جيدا في لغة «هوامش على دفتر النكسة» و«الممثلون والاستجواب»، فكانت لغة تلك القصائد السياسية المثيرة مثل ريبورتاج صحفي ساخن صدم الناس عند قراءتهم الأولى للقصيدة، واعتبروها خروجا على بلاغة الشعراء العرب القدامى، بل اعتبروها خروجا وانحرافا عن لغته الشعرية التي كتب بها قبل ذلك بثلاثين عاما في دواوينه «طفولة نهد» و«أنت لي» و«سامبا».

أما نزار فقد كان مبهورا، ومتحمسا لهذه الصيغة اللغوية التي وصل إليها، ولم يكن يقلل من حماسه وانبهاره قول القائلين أنه أضاع خملة الحرير التي كانت تكسو قصائده في الأربعينيات.

وكان تحوله من لغة «طفولة نهد» إلى لغة «هوامش على دفتر النكسة» بسبب تأثير اللغة الإنجليزية عليه، بعد أن غلب على دواوينه الأولى تأثير اللغة الفرنسية بسبحاتها، وأشعاتها المتموجة، وألوان الطيف فيها.

ثم تعلم نزار اللغة الأسبانية خلال عمله الديبلوماسي في مدريد (١٩٦٢ - ١٩٦٦) وشعر بتعاطف شديد معها، منذ اللحظة الأولى.

وفي فترة من الفترات، وصلت علاقته باللغة الأسبانية إلى مستوى العشق، ولاسيما حين استطاعت هذه اللغة أن تحتويه احتواء تاما، حين قام المستشرق الأسباني «بدرو مارتينز مونتافث» بترجمة مختارات من شعر نزار إلى اللغة الأسبانية تحت عنوان «أشعار حب عربية» حيث انبهر نزار بقدرة اللغة الأسبانية على نقل انفعالاته وهواجسه بمثل هذه الدقة والصفاء.

ويرجح نزار أن عشقه للغة الأسبانية قد يكون متأثرا بعوامل تاريخية ووجدانية ظلت مخبوءة في عقله الباطن، ولكن المهم أنه أحب أسبانيا، وأحب لغتها، وتأثر كثيرا بقراءة قصائد شعرائها الكبار أمثال ماتشادو وخمينز ولوركا.

فاللغة الأسبانية لغة مكشوفة على الشمس،والبحر، وسهول العنب والزيتون، وفيها من التوتر، والحرارة، والعنفوان والحركة، والزخم الصوتي واللوني، ما يجعلها شديدة الشبه براقصة أسبانية يحترق المسرح تحت ضربات قدميها. ومن يقرأ أشعار نزار بعد المرحلة الأسبانية يجد أصداء من الأجواء الأسبانية في شعره الذي تأثر فيه باللغة الأسبانية التي ترفض الحياد، لأنها لغة عشق وثورة معا.. لغة ماء ونار!

الفصل الثاني

شاعر النور والنار

عيناك كلهما تحدي
ولقد قبلت أنا التحدي
يا آخر امرأة . . تحاول
أن تسد طريق مجدي
جدران بيتك من زجاج
فاحذري أن تستبدي
سنرى غدا . . سنرى غدا
من أنت بعد ذبول وردي

نـــزار

بدأ نزار يكتب الشعر وهو في سن السادسة عشرة، وأصدر مجموعته الأولى «قالت لي السمراء» في سبتمبر «أيلول» سنة ١٩٤٤ في دمشق، وأحدث صدورها ردود فعل عنيفة، فهاجمه المحافظون، ورفضوا الديوان جملة وتفصيلا: رفضوا عنوانه، ورفضوا مضمونه، وهاجموا نزار بشراسة وعنف.

وامتشق الداعية السوري الشيخ علي الطنطاوي قلمه ونشر في الرسالة هجوما حادا على الديوان الأول بأسلوب ساخر جارح جاء فيه: [1]

«طبع في دمشق كتاب صغير زاهي الغلاف ناعمه؛ ملفوف بالورق الشفاف الذي تلف به علب الشكولاتة» في الأعراس، معقود عليه شريط أحمر كالذي أوجب الفرنسيون أول العهد، باحتلالهم الشام وضعه في خصور «بعضهن» ليعرفن به، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر، فيه أشطار طولها واحد إذا قستها بالسنتيمترات.

«في الكتاب مع ذلك تجديد في بحور العروض، يختلط فيه البحر البسيط، والبحر الأبيض المتوسط، وتجديد في قواعد النحو لأن الناس قد ملوا رفع الفاعل ونصب المفعول، ومضى عليهم ثلاثة آلاف سنة وهم يقيمون عليه، فلم يكن بد من هذا التجديد».

جاء ديوان «قالت لي السمراء» سنة ١٩٤٤ ليوقظ النيام، ويفتح الآفاق لمرحلة مخاض جديدة في سوريا كانت الأجيال السورية الجديدة تقرأ عن الاتجاهات الأدبية والفكرية الجديدة في العالم مثل الوجودية والسريالية، والتكعيبية، فجاء هذا الديوان مع غيره من إبداعات رواد التنوير في سوريا بمثابة الضوء الأخضر أمام ألوف من الشباب والشابات في سورية، ليعبروا إلى الرصيف الثاني حيث كانت الحرية بانتظارهم

كان في قصائد «قالت لي السمراء» لغة تشبه لغتهم، وأشواق بحجم أشواقهم، وشعر بمساحة انفعالاتهم ولكن الشاعر صمد، وزاد القراء الذين انفعلوا بالديوان

(١) الرسالة / مارس ١٩٤٦ .

ودافعوا عنه.

ومن بين قصائد الديوان قصيدة «نهداك» التي أثارت ضجة كبيرة لجرأتها وصراحتها: (1)

يا حلوة العينين . . يأبى الوهم أن تتوهمي
عيناك أجمل لوحتين على جدار الموسم
كرتان من ثلج الشمال . . من الصباح الأكرم
فتقدمي يا قطتي الصغرى، إليّ تقدمي

ورغم الإحباط الذي أحس به نزار من ردة الفعل الأولى في المجتمع السوري لصدور «قالت لي السمراء» سنة ١٩٤٤، فإنه شعر بالامتنان لرد الفعل الأولى لصدور «طفولة نهد» بالقاهرة سنة ١٩٤٨ وترحيب الناقد أنور المعداوي به على صفحات مجلة «الرسالة»، نفس المجلة التي هوجم من على منبرها.

وبعد صدور طفولة نهد، توالت دواوينه الشعرية «سامبا» (١٩٤٩)، وأنت لي (١٩٥٠) و«قصائد» (١٩٥٦) وحبيبتي (١٩٦١) والرسم بالكلمات (١٩٦٦) ويوميات امرأة لا مبالية (١٩٦٨) وقصائد متوحشة (١٩٧٠) وكتاب الحب (١٩٧٠) ترسم مسيرته الشعرية الخصبة الثرية التي كسرت القيود والحواجز التي كانت تفصل بين القارئ العادي والبرج العاجي الذي كانت تعيشه القصيدة العربية!

وحول سيرته الشعرية، ورحلته مع الحرف كتب نزار في سنواته الأخيرة (سنة ١٩٩٠) هذه الخواطر واللمحات التي تلقي الضوء على ملامح تلك المرحلة الطويلة الممتدة عبر الزمان وعبر المكان: (2)

في مثل هذا الشهر، قبل خمسين عاما، هجم علي الشعر.
لم يطرق الباب . .

(١) قالت لي السمراء / قصيدة نهداك.

(٢) راجع ديوان «هل تسمعين صهيل أحزاني» (١٩٩١) / خمسون عاما من الشعر.

ولـم يستأذن . .

ولـم يتكلـم معي بالتلفون . .

وفـجـأة . . وجدته في وسط الغـرفة ، جالسـا على حقـيبتـه الجلدية الضخمة ، كغجري ضائع العنوان

ثم نهض ليتعرف على خريطة بيتي .

دخل أولا إلى غـرفة الحمـام ، وأخذ (دوشا) . . واسـتعمل فـرشاة أسناني . . ومناشفي . . وأدوات حلاقتي . .

ثم فتح الثلاجة ، وسألني :

«ماذا لديك من طعام . . إني جائع . . » .

قلت : خبز . . وجبن روكفور . .

قال : طعامك متحضر . رغم أن الجبن يرفع ضغطي . . .

ثم دخل إلى غرفة نومي . .

ففتح الخزائن والجوارير ، وأخرج واحدةً من بيجاماتي . . وارتداها دون أن يستأذنني . .

ولسوء الحظ ، كان مقياس جسده كمقياس جسدي .

ثم اختار لنفسه مقعدا مريحا ،

واحـــتلَّ ســـريري . . وســـرق كل أغطيـــتي ، وشـــراشـــفي ، ومخداتي . . وقال لي : «تصبح على خير . . . » .

ونمت أنا على الكَنَبَة . .

ولازلت منذ خمسين عاما نائما على الكَنَبَة . . .

«في مـثل هذا الشـهر من عـام ١٩٤٠ ، دَخَلَ الشعـرُ إلى بيـتي ، ولـم

يخرج منه حتَّى الآن . .

في البـدء ، تصـوَّرت أن الزائرَ الغـامضَ ، سـوف يمكثُ يومًـا أو يومين . . أسبوعًا أو أسبوعين . . شهرًا أو شهرين . .

ولم أكن أتصوّر أنه سيصبحُ صاحبَ البيت ، وأصبحُ أنا أجيرًا عنده ، أصنعُ له قَهْوَتَه ، وأشتري له الصحفَ والسَّجائر ، وأغسلُ له ملابسه الداخلية ، وأُلَمِّعُ له أحذيتَه . . .

لم أكن أتصـوَّر أنَّ الرجلَ الغـامضَ ، سـوف يأخـذُ مني (ورقـةَ الطابو) . . ويسجّل البيت باسمه ، ويبقى جالسًا فوق رأسي إلى يوم القيامة .

يأكلُ عندي . . ويشربُ عندي . . ويلعبُ الورقَ عندي . . ويتزوَّجُ عندي . . ويُنْجبُ أولادًا أُرْضِعُـهُم أنا . . وأُربِّيـهمْ أنا . . وآخذهم إلى المدرسة . . أنا . .

* * *

«السُكْنَى مع الشِّعْر في بيت واحد لمدة خمسينَ عامًا ، كالسُكْنَى في (العَصْفُوريَّة) . . لا تعرف فيها طَبيعةَ مرضك . . ومتى سيُطلقون سَراحَك .

كالسُكْنَى على حافة بُرْكَان ، لا تعرفُ متى يهدأ . . ولا تعرفُ متى يثور . . .

كالزَّواج من امرأة مَجْنُونَة . . لا تعرفُ مَتَى تعانقُكَ . . ولا تعرفُ مَتَى تخْنُقُكَ . .

ليس هناكَ مزاحٌ مع الشِّعْر .

فإمَّا أن يعطيَكَ الميداليَّةَ الذهبيَّة . .

وإمَّا أن يسبِّبَ لكَ الذبحة القلبية . .

وعندما جاءتني الذَّبْحَةُ القلبيّة عام ١٩٧٤ ، ونقلوني إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت ، جاءني الرجلُ الغامض يحمل لي أزهارًا جميلةً ، وقال لي :

- I am Sorry . أنا الذي افتريتُ عليكَ . . سَامِحْني . . .

قلتُ له : (ولا يهمّك) . إنني أدفع استحقاقاتِ الشعر عليَّ . وأن يموتَ الإنسان وهو يكتبُ الشعر . . خيرٌ له من أن يَمُوتَ وهو يلعب الورَق . . أو يُدَخِّن الشيشَة . . أو يتفرّج على مُسَلْسَلٍ عربي في التلفزيون ! ! .

* * *

حين دخلتُ إلى بحر الشعر قبل خمسينَ عامًا ، لم يكن لديَّ فكرة عن فنّ الغَوْص ، وعن أخلاق البحر . . .

ظننت أن الماء لن يصل إلى ما فوق رُكْبتي . . وأنني سوف ألعب بالرمل والموج والأصداف . . وآخذ حمام شَمْسٍ لبِضْعِ ساعات . . ثم أعود إلى قَوَاعدي .

ولكنّني لم أعُدْ إلى البرِّ أبَداً . . .

وحين جاءتْ أُمّي بعد غروب الشمس لتبحثَ عني . . قال لها رئيسُ دَوْريّة خفَر السواحل :

- العَوَض بسلامتك . . يا سيِّدتي . ابنُك مَخْطُوف . خَطَفَتْهُ إحدى جنيّات البحر ، وتزوَّجَتْهُ . . ولا أملَ بعودَته .

صرَخَتْ أُمّي باكية :

- ولكنه ابني . . أتوسل إليك يا سيدي أن تعيد لي ابني .

أجابها رئيسُ الدورية :

– إنني أفهمُ أحزانكَ يا سيّدتي ، وأتعاطفُ معك . .

ولكنَّ تجـربتي الطويلة مع البـحـر ، تسـمح ليَ أن أصـارحك ، أن الزواجَ من حوريَّات البحر ، زواجٌ كاثوليكي . .

ولا توجدُ في سجلات مخفرنا أيةَ سابقة لحورية اختطفتْ رجلاً . . وأعادتهُ إلى أحضان أمِّه . .

قالتْ أمي : أستحلفَك بأولادك يا سيدي . إفعل شيئا لإنقاذ ابني . إنه لايزال صغيرا على الحب . وصغيراً على الزَّواج . إنني أعطيك كل خواتمي ، وأساوري ، لتقدمها إلى الحورية ، علها تطلق سراح ابني . .

قال لها رئيس الدورية :

إنَّ حوريَّات البحر ، يا سيِّدتي ، في حالة عري كامل صيفا وشتاء . لذلك فإن الأساور ، والخواتم ، والساعات المطعمة بالماس . . لا تثيرهن . . ولا تعني لهن شيئا . . إن رشوة حوريات البحر ، مهمة مستحيلة . .

قـالتْ أُمي : ولكنَّ وَلَدي لا يعـرفُ شـيـئًـا عن الْحُبِّ . . وعن الزواج . . إنَّه لايزالُ تلميَذًا في الثَّانوية العامة . . .

أجابها رئيسُ الدوريَّة ، وهو يخفي ابتسامة ماكرة :

لا تقلقي . . لا تقلقي يا سيِّدتي . . فسوفَ تعلمه حورية البحرِ أسرارَ الحبَّ تحت الماء . . إلى أن يتخرجَ أميرالاً من أكاديمية البحرِ . . .

* * *

بعد خمسينَ عامًا على زواجي منْ حوريَّة البحرِ . .
رزقتُ بخمسينَ ولدًا / كتابًا . . . جميعُهُم بصحة جيِّدة . .
أيَّامي مع حورية البحر ، لم تكن كلها أيام شهر عسَل . .
كـانت أحـوالنا تشـبـه أحـوال البـحـر . . مدا وجـزرا . . وصـحـوا ومطرا . . وطقسا جميلا . وعواصف مجنونة . .
كانت هي مشغولة بالتزلج على الماء . . مع أولادها . .
وكنت أنا مشغولا بأوراقي . . وكتاباتي . . ونرجسيتي . .
كنت أنا أتكلم مع أشجار المرجان ، وسلاحف الماء . .
وكانت هي . . تطارد أية سمكة أنثى تقترب مني . .

* * *

بعد خـمسينَ عـامًا من مـعاشرة القـصـيدة ، أعترفُ لكُم أنَّـهـا امرأة متـعبة . امْرأة مزاجية ، مـتسلّطة ، ولا تـصيرُ كلمـتـهـا كلمتين . .
تغازلكَ متَى تُريدَ . . وتتزوجكَ متَى تُريد .
وترسلُ إليكَ ورقة الطَّلاق متَى تُريد . .
وليسَ صـحـيـحًا أنَّ الشَّاعـر هو الذي (بيده العـصـمـة) في العـمل الشِّعري .
إنَّ القصيدةَ وحدَها هيَ التي تَمْلك العصمة .
القـصـيـدة هي التي تهيء غـرفـة النوم . . وهي التي تعـد كـؤوس الشَّـراب . . وهي الـتي تخـتـار نوع الموسـيـقى . . وهي التي تخلع ثيابها . . وتفترسك بلا مقدمات . وكاذب كل شاعر يقول لك إنه (اغتصب قصيدة) . فنحن جميعا مُغتصَبون . .

ورغم أن بعض الشُّعراء في سيرهم الذاتية، يحاولُون أنْ يظهروا (الدونجوانات). ويوحون لكَ بأنَّهُم (القوامون على قصائدهم)، إلاَّ أن هذا الادّعاء باطل، لأنَّ الشَّاعر كملك السويد يَمْلك ولا يحكم. في حين أن القصيدةَ هيَ التي تأمرُ، وتنهي.

* * *

عندمًا دخلت إلى ورشة الشّعر، قبل خمسينَ عامًا، كانت المواد الأوليّة متوفّرة بكثرة من حولي. فراشيّ، وأصباغ، وطين، وصلْصَال، وخَشَب، وقماش، وجبْس، وأزاميل، وقوالب، وفرن لطبخ السيراميك.

قلت لمعلّمي في الورشة: ماذا أفعل؟ ومن أين أبدأ؟

قالَ: ابدأ من حيثُ تريد. واستعمل أصابعك جيدا.. ولا تلتفت إلى يمينيك.. أو إلى شمالك..

إياك أن تقترب من قوالب الآخرين، فإنها سجن..

اصْنَع قوالبكَ بنفسك. فالطين هنا. والماء هنا. والفرن هناك...

وإذا احترقت أصابعك أثناء العمل، فضعها تحت حنفية الماء.. فليس لدينا في الورشة قطن، وسبيرتو..

ثم.. لا تتكلم مع زملائك أثناء العمل، لأنني في ورشتي لا أحب الثرثرة، والكلام الفارغ..

قلت: ولكنني، يا سيدي، غشيم... ولم أتجاوز السادسة عشرة. ألا يمكنك أن تعطيني ولو فكرة صغيرة، عن طريقة الشغل؟

صرخَ المعلمُ في وجهي:

- يا ولد. . ليس عندي هنا روضة أطفال. . ولا بيبرونات. . ولا حليب. . ولا كاكاو. . البس (الأوفرول) الأزرق فورا. . ودبر حالك. .

* * *

ولبست (ألأوفرول) الأزرق، وانخرطتُ في ورشة العمل.

كانت كلمات معلّمي تدقُّ كالأجراس في داخلي:

- لا تلتفتْ يميناً.

- لا تلتفتْ شمالاً.

- لا تقترب من قوالب الآخرين.

مرَّ على هذا الكلام خمسون عاماً، ولاتزال الأجراس تدق في أعماقي. ولايزال (الأوفرول) الأزرق ملتصقًا بجسدي ليلاً ونهارًا.

أعمل به، وأنام به، وأستحمّ به. . .

ولازلتُ أطبّق (الريجيم) الشعري الذي أوصاني به أستاذي بحذافيره.

صحيح أن الريجيم كان قاسيا، ولكنه ساعدني على الاحتفاظ بلياقتي الشعرية على مدى خمسين عاماً.

كانَ من السَّهل عليَّ أن أجلس على موائد الآخرين، وآكل بيتزا. . ومعكرونة. . وقوزي. . وكنافة بالقشطة. .

ولكنني لم أفعل. وظلت لاءات معلمي تلاحقني وأنا أجلس إلى طاولة الطعام، وإلى طاولة الكتابة، حتى اليوم.

* * *

لا تعذِّبوا أنفُسكُمْ في تصنيفي . .

إنني شاعر خارجَ التصنيف . . وخارجَ الوصف والمواصفات .

فلا أنا تقليدي، ولا أنا حَدَاثوي، ولا أنا كلاسيكي، ولا أنا نيو - كلاسيكي، ولا أنا رومانسي، ولا أنا رمزي، ولا أنا مَاضَوي، ولا أنا مستقبلي، ولا أنا انطباعي، أو تكعيبي، أو سِرْيالي .

إنَّني (خَلْطَةٌ) لا يستطيع أي مختبر أن يحللها .

إنَّني (خَلْطَةٌ حُريَّة) .

هذه هي الكلمات التي كنتُ أبحثُ عنها منذ خمسين عاماً . .

ووجدتها هذه اللحظة فقط . . .

* * *

الحريَّة تُحرِّرني من كلِّ الضغوط التي يمارسُها التاريخ على أصابعي .

تحرِّرني من كلِّ أنظمة السير، ومن كلِّ إشارات المرور .

الحرّية تحميني من غباء آلات التسجيل، ومن السقوط بين أسنان الآلات الناسخة . .

تحميني من ارتداء اللباس الموحَّد، والقماش الموحَّد، واللون الموحَّد . فالقصيدة ليست مجنَّدة، ولا ممرِّضَة، ولا مضيفة طيران . .

الحرية تسمح لي بأن ألبس اللغة التي أشاء . . في الوقت الذي أشاء . .

إنني هارب من نظام الأحكام العُرْفيَّة في الشِّعْر .

كما أنا هارب من قوانين الطوارئ، ومن (لزوميّات مالا يلزم) .

لا أسمح لأحد أن يتدخَّل بأشكالي .

فلقد أكتُبُ الْمُعَلَّقة الطويلة .

ولَقد أكتب (التلكْس) الشعري القصير .

ولقد أكتب قصَيدة التفعيلة . . أو القصيدة الدائرية . . أو قصيدة النثر . .

ولقد أتزوَّجُ القافية ذاتَ ليلة . . وأطلِّقُها في اليوم التالي .

وقد أتَصَعْلَك كعُروَة بن الوَرْد . .

وقد أرتدي السموكن كاللوردات الإنكليز . .

وقد أخطب على طريقة قس بن سَاعدة . .

وقد أعزف الجاز ، وأغَنِّي على طريقة البيتلز . . .

إنَّ حريتي تدفعني إلى ارتكاب حماقَات كثيرة . . .

ولكنَّني لا أعتذر . . ولا أندم . .

فالشعرُ ، بدون حماقة ، هو موعظةٌ في كنيسة . .

وبيانٌ انتخابيٌ لا يقرؤه أحد . . .

* * *

مع اللغة ، لعبتُ بديمقراطيةٍ ، وروحٍ رياضية .

لم أتفاصَحْ .

ولم أتفلسَف . .

ولم أغُشَّ بورق اللعب .

لم أكسر زُجَاجَ اللغة . ولكنني مسحتُهُ بالماء والصابُون .

ولم أحرق أوراق القاموس . .

ولكنني قمتُ بعملية (تطبيع) بينه وبين الناس .

ولم أقُصُّ شاربَ أبي، وقنبازَه، وطربوشَه بالمقصّ.
ولكنني استأذنته أن أشتري ملابسي من عند الخياط (سْمَالتُو) . .
ولأنَّ أبي كان حضاريا . . فقد طلب مني أن أعرفه على (سمالتو) .
وصارَ لا يُخيط بدلاته إلا عنده . . .

كنتُ أؤمنُ أن الشِّعْرَ موجودٌ في عيون الناس، وفي أصواتهم، وفي عرَقهم، ودموعهم، وضحكاتهم وأنَّ وظيفتي كشاعر، هي أن أنقل المشهدَ الشعبيَّ الكبير.

وهذا ما فعلتهُ خلال خمسينَ عامًا.

لذلكَ تَجمَّع الناس حول شعري، ليسمعوا حكايتهم، وليشاهدوا شريط الفيديو الطويل الذي أخرجته عن حياتهم.

وإذا كانت أشرطةُ الفيديو الشعرية التي أنتجتُها هي الأكثر انتشاراً . . فلأن سكان الحارات الشعبية يحبون أن يروا صورتهم بالألوان الطبيعية، وعواطفهم بالألوان الطبيعية . . بدون أقنعة . . وبدون مكياج . . أو مونتاج . .

منذُ البدء، كنتُ مع الديمقراطيّة الشعريَّة.

كنتُ أؤمن أن الشعرَ هو حركةٌ توحيدية، لا حركة انفصالية . . .
وأنه همزةُ وَصْل، لا هَمْزَةُ قَطْع.
وأنه فن الاختلاط بالآخرين، لا فن العزلة.
وأنهُ فنّ الملامسة والحنان، لا فن إلقاء القبض على الآخرين، واغتصابهم شعريا . .

إيماني بديمقراطية الشعر، دفعني إلى التفتيش عن لغة تؤمن هي الأخرى بالديمقرطية، وتحبُّ الجلوسَ في المقاهي الشعبيَّة، وتشربُ

القرْفةَ واليانسون، وتلعب (الكونكان)، وتركب أوتوبيسات الحَكومة، وتنزل في فنادق الدرجة الثالثة، وتشاهد مباريات كرة القدم، ومسرحيات عادل إمام، ودريد لحام، وتقرأ سيرة أبي زيد الهلالي . . .

* * *

يحاولُ النقدُ أن يتعلَّقَ بعَرَبة الشِّعْر .
ولكنَّ الْحُوذيَّ يضربهُ بالكرْبَاج . .
فيسقُطُ مضرَّجا بدم أحفاده . .

* * *

أنَا ممنوعٌ في كلِّ مكان
إذَنْ . . فأنا مقروءٌ في كل مكانْ

* * *

قبل أن يدخل الْمَال إلى حارة الثقافة .
كانت الحارة سعيدة، ومرتاحة، وبألف خير .
وكان الناس يأكلون، ويشربون، ويسهرون عند بعضهم، ويزوجون أولادهم وبناتهم، ويفتحون أبوابهم للعصافير، ولضوء القمر . . .
وعندما جاء الْمَال حاملا براميله . .
ودفاتر شيكاته . .
وأكياس دنانيره . .
فسَدَتْ أخلاقُ الحارة، وأصبح (الزُعْران) رؤساء لتحرير الصفحات الثقافية . .

وصارتْ مهنة النقد، كمهنة الصيرفة، خاضعةً لقانون العرض والطلب . . .

الشاعر العربي، هو بدون شك، أعظم شاعر في الدنيا. لأنه يدفع كمبيالة الشعر مع فوائدها . . وفوائد فوائدها.

فبينما يجلس الشاعر السويسري على ضفاف بحيرة جنيف ليطعم البط . .

وبينمَا يجلسُ الشاعر الفرنسي في أحد مقاهي سان جرمان، وأمامه قدح كونياك، وفي فمه سيجارة غولواز . . .

وبينما يفتح الشّاعرُ الإنكليزيّ شهيّتهُ بسَطْل من البيرة السوداء . .

وبينمَا يجلس الشاعرُ الأميركي على سطح بناية (تشيز مانهاتن بنك) في الجادة الخامسة في نيويورك . .

يجلس الشاعر العربي على قصيدة مفخخة . . لا يدري متى تنفجر به . . .

* * *

المرأةُ ضروريّةٌ جدًا لكتابة القصيدة.

ولكنْ إذَا زادت الْجُرْعَةُ النسائيَّةُ عن الحدِّ المعقُول . .

ماتت القصيدة . . .

* * *

الشُّهْرَةُ ذبحتني.

كيف يمكنني أن أنامَ مع ٢٠٠ مليون عربي

في غرفة واحدة . .

وسريرٍ واحدْ؟ . .

يريدُ بعضُ الْمُتثاقفين أن يقنعونا أن جماهيرية الشاعر، هي مقتَلُهْ.
وأحبُّ أن أطمئنَهم أنني شاعرٌ جماهيري.. ولا أزالُ بعد خمسينَ عامًا حيًّا أُرْزَقَ..

* * *

كانت المرأةُ منذ خمسينَ عامًا، حبيبتي..
ولاتزالُ حبيبتي..
إلاَّ أنَّني أضفتُ إليها ضُرَّةً جديدةً..
اسْمُها الوَطَنْ...

* * *

كلُّ الْمُلْصَقَات التي وضعُوها على صدري..
من شاعر المرأة..
إلى شاعر النَّهْد..
إلى شاعر الْمُراهقات..
إلى شاعر المجتمع المخملي..
إلى شاعر الدانتيل الأزرق..
إلى شاعر الغَزَل الحسي..
إلى شاعر الإبَاحيَّة..
إلى الشاعر الفاجر..
إلى الشاعر التاجر..
إلى الشاعر الملعون..
إلى الشاعر الرجيم..

إلَى شاعر الهزيمة والإحباط . .

إلى شاعر الهجاء السياسي . .

كل هذه الْمُلْصَقَات تَساقَطَتْ كالورق اليابسِ على الأرض، وبقيت الأشجارُ واقفة . . .

* * *

في السَّنَوات الأخيرة . .

أصبحتُ أحفرُ الورق بأظافري حين أكتب . .

أصبحتُ عَصَبِيّاً . . وحارقًا . . وجارحًا . .

وصارَ سُلُوكي كسلوك أرنب بَرِيّ . .

نسيتُ مهنة الدبلوماسية التي زاولتها عشرين عاما . . .

نسيتُ مجاملةَ الرجال . . وتقبيل أيدي النساء . . .

نزعتُ قميصي الْمُنَشَّى . . وكلامي الْمُنَشَّى . .

وقررتُ أن أكون مباشراً . . كطلْقَة مسدَّسْ . .

* * *

كلَّما قرأتُ في الصحافة الأدبية تعبير (النزاريَّة) . .

اجتاحتني موجة كبرياء .

أليسَ رائعًا أنْ أكونَ صاحبَ طريقة شعرية . .

* * *

الشعرُ الحديثُ لم يصنعهُ أحدٌ . .

لا بدر شاكر السَّياب، ولا نازك الملائكة . .

ولا فُلاَن . . ولا علِتّاَن . .

الحداثةُ مقطوعةٌ موسيقيةٌ جَمَاعيّة، بدأت في الثلاثينيات، وشاركَ فيها كَوْرَس ٌكاملٌ من الشعراء العرب المقيمين والمغتربين.

كلٌّ واحد بآلة.

أو بجُمْلةً موسيقيّة.

أو بلازمةً.

أو بقرارْ.

أو بجواب قرار.

وكلٌّ مَن يدَّعي أنه بيتهوفن الشعر العربي الحديث، يجب أن تقام عليه الدَّعوى بتهمة النصب والاحتيال...

ليسَ هناك في رأيي لغة عربية واحدة..

ولكنَّ هناك لغات..

هناكَ لغةُ الجاحظ.

وهناك لغةُ ابن المقفع.

وهناكَ لغةُ ابن قُتَيْبَة.

وهناك لغةُ الجرجاني.

وهناك لغة البحتري، وأبي نواس، والمتنبيّ، وأحمد شوقي، وأمين نخلة، وإلياس أبي شبكة، وبشارة الخوري، وسعيد عقل، وأدونيس...

كل واحد من هؤلاء، اشتغل على لغته، ورتبها، وفرشها على ذوقه، وصبغ جدرانها على ذوقه...

وإذا سألتمُوني:

– وأنتَ.. ماذا فعلت بالشأن اللغويّ؟

أجيبكم ببساطة :
- لقد اخترعتُ لُغَتي .

* * *

طبعًا أنا لا أدَّعي أنني فتحتُ القسطنطينيَّة . . أو أنني كألفرد نوبل اخترعت البارود . .

ولكنني أقول بكل تواضع إنني عمرت لنفسي بيتا صغيرا . . ومريحا . . ووضعت بطاقتي الشخصية على بابه . .

قد أصل في خطابي الشعري إلى مستوى الكلام العادي، وقد أتهم بالنثرية حينا، وبالتقريرية حينا آخر . . ولكنني لا أغضب مما يقال، لأنني أعتقد أن الجدار الفاصل بين الشعر وبين النثر، سوف ينهار عما قريب كما انهار جدار برلين .

إن (بريسترويكا الشِّعر) قادمة . .

وإذا كان غورباتشوف نادى بالبريسترويكا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن التغييرات التي أحدثتها في لغة الشعر منذ خمسين عاما، هي أيضا (بريسترويكا) نزارية . .

* * *

وقد ظل نزار قباني فارس الشعر المشاغب حتى آخر نسمة في حياته وفيًا لرسالته الشعرية ذات الجناحين: جناح الحب وجناح الحرية.. وبعد رحيله ترك لنا تراثه الشعري والنثري شاهدًا على صموده في الساحة العربية مقاتلاً عنيدًا لا يلين لم يتغير ولم يتبدل، ولم يتنكر لقناعاته ولمبادئه!

الفصل الثالث:
شاعر الرسائل المحترقة

أمطعمة النيران . . أحلى رسائلي
جمالك ماذا كان . . لولا رسائلي
فثغرك بعض من أناقة أحرفي
وصدرك بعض من عويل زوابعي
أنا بعض هذا الحبر . . ما عدت ذاكراً
حدود حروفي من حدود أصابعي

نــــزار

عاشق الجمال

كان نزار قباني شاعرا كبيرا اتسعت ألوان شعره لتشمل جوانب كثيرة من حياتنا الاجتماعية والفكرية والسياسية بل وشملت الإنسانية جميعها، ولكني أردت تحديد محور هذا الكتاب ليتناول المرأة في حياته وشعره، ولم أرد أن يكون اللقب بمثابة رمح مزروع في خاصرة الشاعر الكبير كما كان يخشى ذلك!

فنزار لم ينكر وفرة ما كتب من شعر الحب، ولم ينكر همومه النسائية، ولكن كان يزعجه بشكل كبير أن يعتقد الناس أن همومه النسائية كانت هي كل همومه!

فقد كان لنزار حياة مليئة كما تكون حياة أكثر الرجال الطبيعيين الأسوياء، فقد عرف نساء كثيرات، وانتصر وانهزم، وأحرق واحترق، وقَتل وقُتل.

وقد اعترف نزار بسر شهرته كشاعر للنساء فقال: (١)

«إذا كانت روائح حبي تفوح بشكل أقوى وأعنف من روائح بقية العشاق، فلأنني رجل يمتهن الكتابة ويضع حياته بكل تفاصيلها على الورق..

«الفرق بيني وبين بقية العشاق، أنهم يحبون في العتمة، وضمن جدران غرف النوم المغلقة، أما أنا - فلسوء حظي - أنني رسمت عشقي على الورق، وألصقته على كل الجدران..

«هذه هي مأساة الفنان.. إنه لا يستطيع أن يتصرف في الحياة بشكل، وعلى الورق بشكل آخر.. ولا يستطيع أن يقيم جدارا بين سلوكه وكتابته».

ويرى نزار أنه كفنان لا يستطيع أن يعيش حياته الخاصة، ويختلي بحبيبته في شاليه على البحر، كما يفعل بقية الرجال، ويمارس الحب في جلسة سرية لا يدخلها الصحافيون وموظفو الإذاعة

إنه ملزم كشاعر أن ينقل سريره إلى الشارع، ويضع عواطفه تحت تصرف جميع المواطنين وفي خدمتهم، كالتماثيل، والأرصفة، والحدائق العامة.

(١) قصتي مع الشعر / ص (١٣٠).

ويعترف نزار أنه لا يستطيع ممارسة العشق في الظلام، ولا يستطيع أن يخبئ حبيبته في سرداب من الحجر، ولذلك أصبحت قصائده وثائق اتهام موقعة بإمضائه، وصارت كتبه دلائل مادية على ارتكاب جريمة الحب.. التي لا يبرئ نفسه من ارتكابها، بل على العكس كان يعتقد بأن أكبر جريمة يرتكبها إنسان ما هي أن لا يعشق!

وقالها نزار - بصوت عال - إنه عاشق مدمن ومزمن، وحين لا يكون ثمة معشوق في حياته، فكأنه يتحول إلى ورقة نشاف!

وبعد تجارب نزار العاطفية والشعرية يضطر للاعتراف بهذه الحقيقة المؤلمة:[(١)]

«أود أن أعترف أن شعري قدمني للناس تقديما خطرا، وصبغ سمعتي بالأحمر الفاقع، وساعد على ترسيخ صورتي «الشهريارية» في رؤوسهم...

«لقد قدمت - بكل براءة - رأسي إلى الناس على صينية من فضة كيوحنا المعمدان

«وفي بلاد كبلادنا تذبحها الازدواجية، وتمارس الحب من خلف الكواليس، وتعتنق مبدأ «التقية» في سلوكها العاطفي، لا يمكن لشاعر مثلي، يركب مع حبيبته على ظهر حصان، ويتجول نهارا في طرقات المدينة، أن ينشد السلامة.

«إن الناس في بلادنا لا يستطيعون أن يفصلوا الكتابة عن الكاتب، والصورة الشعرية عن شخص صاحبها «فالتجريد والتأمل الذهني الصرف، أشياء لا نتعامل معها في هذه المنطقة من العالم».

ثم إن الحديث عن الحب، في شرق يرفض الحب ويعتبره طفلا غير شرعي، ومادة كالمواد المخدرة ممنوعة من التداول، يعتبر بحد ذاته خروجا على قيم المجتمع ومؤسساته.

وفي مجتمع كهذا يصبح شاعر الحب مواطنا خارجا على القانون، وتصبح القصائد التي تتناول العلاقات الحميمة بين الرجل والمرأة فضيحة علنية.

(١) قصتي مع الشعر / ص (١٣٢).

وهكذا يمضي شاعر الحب في بلادنا على حد الخنجر، وتلصق صوره على جدران المدن وجذوع الأشجار، وتحتها عبارة «مطلوب حيا أو ميتا»

ثم يضطر نزار إلى التسليم بالحقيقة التالية: (١)

«لقد كان الالتحام مع مجتمع يضع الحب في قائمة المحرمات، والممنوعات أمرا حتميا، والذي زاد من ضراوة الالتحام أنني ظهرت على الورق بوجهي الطبيعي، ولم ألجأ إلى الأصباغ والمساحيق

«لم أكن أشعر أن الهوى وحش يفترس كل من يقترب منه، على العكس كنت أعتقد أن الهوى قط منزلي أليف، وأننا نحن الذين روعناه، وخوفناه، وجعلناه يتسكع في الأزقة الضيقة، وينام بين الخرائب

«كنت أرى أن العيب فينا، لا في الحب، وأن الحب حركة طبيعية تعبر بها الحياة عن نفسها، وأننا نحن الذين عقدناه وصلبناه على صليب الخرافة

«لم أكن مقتنعا أن الهوى مغارة ملعونة، كل من لامس بابها الحجري سقط ميتا

«إن شعراء الغزل الحسي في أوربا، وكتاب الروايات والمسرحيات، لا يخوضون حربا صليبية مع مجتمعهم كما يخوضها الكتاب العرب، والسبب هو أن نظرة مجتمعاتهم إلى الحب والهوى أخذت حجمها الطبيعي

إن شاعر الحب في بلادنا، يقاتل فوق أرض وعرة، وفي مناخ عدائي رديء جدًا، ويفنى في غابة تسكنها الأشباح والعفاريت.

اتهم نزار قباني بأنه شاعر الجنس الذي لا يهتم من المرأة إلا بمظاهر جمالها الخارجي، وبكل ما هو مثير وجميل منها كشاعر ذواقة يعشق الجمال دونما اهتمام بأحاسيسها ومشاعرها وعواطفها الداخلية.

وإذا كان نزار قد أفاض في وصف العلاقات الحسية بين الرجل والمرأة فإنما كان ذلك من منظور مختلف عن هدف الإثارة واحترافها للاقتراب من الجمهور، بل كان يهدف لشيء آخر: (٢)

---

(١) راجع قصتي مع الشعر.

(٢) عن الشعر والجنس والثورة / ص (١٩).

«إنني لا أحترف الإثارة.. ولكنني أرمي أوراقي على الطاولة بشجاعة وألعب بكل رصيدي، أنا رجل يرفض أن يلعب لعبة الحب خلف الكواليس.. لذلك نقلت سريري إلى الهواء الطلق.. وكتبت قصائد حبي على أشجار الحدائق العامة.

وكان يدعو دوما منذ اللحظة الأولى في رحلته الشعرية إلى تحرير الهوى من الأساطير والخزعبلات والمبالغات كطريق لتحرير المرأة فالمرأة، كانت ذات يوم وردة في عروة ثوبي، خاتما في أصبعي، هما جميلا ينام على وسادتي، ثم تحولت إلى سيف يذبحني، والمرأة عندي الآن ليست ليرة ذهبية ملفوفة بالقطن، ولا جارية تنتظرني في مقاصير الحريم، ولا فندقا أحمل إليه حقائبي ثم أرحل.

«أنني أريد أن أنهي حالة المرأة الوليمة.. وأحررها من سيف عنترة وأبي زيد الهلالي

«إن الهوى هو صداعنا الكبير في هذه المنطقة، وهو المقياس البدائي لكل أخلاقياتنا التي حملناها معنا، يجب أن يعود للهوى حجمه الطبيعي، وأن لا نضخمه بشكل يحوله إلى غول أو عنقاء..

«الكائنات كلها تلعب لعبة الهوى بمنتهى الطهارة الأسماك.. الأرانب.. والأزاهير.. والعصافير.. وشرانق الحرير.. والأمواج والغيوم.. كلها تمارس طقوس الهوى بعفوية وشفافية، إلا نحن فقد اعتبرناه طفلا غير شرعي، وطردناه من مدننا وجردناه من حقوقه المدنية».

وعندما سئل نزار عن مصير رحلته الطويلة في بحار الضياع بحثا عن المستحيل أجاب:

«إن قصة «الهولندي الطائر» هي قصتي باختصار..

«فلا مرفأ من المرافئ يقبل دخولي إليه.. ولا أسماك القرش ترضى أن تصالحني ولا العاصفة تريد أن تكون لطيفة معي ولا القراصنة يقبلون مناقشتي.. وأخيرا.. لا امرأة قابلتها لديها الاستعداد لتحبني إلى درجة تقبل معها أن تصعد إلى سفينة الأشباح التي أركبها، وتبحر إلى آخر العمر معي.. وتموت معي.

«أنا طول عمري كنت وحيدا على مركب الشعر

«صحيح أن سفينتي ثقبت أكثر من مرة، وغرقت أكثر من مرة، ونهشتني حيتان البحر أكثر من مرة، وخطفتني جنيات البحر أكثر من مرة.. لكنني كنت أجد نفسي دائما وحيدا على ظهر السفينة، أعقم جراحي بملح البحر، وأداويها على الطريقة البدائية، وأرتب سريري بنفسي، لأن أكثر حيتان البحر اللواتي عرفتهن غير متحمسات لدخول المطبخ.

«أن تكون وحيدا، لا يعني أن تكون رجلا متوحشا، أو مريضا، أو سوداويا، أو هاربا من العالم

«أن تكون وحيدا، يعني أن تنسحب من ضوضاء العالم لتصغى إلى موسيقى نفسك، وموسيقى النفس موسيقى جميلة جدا لمن عنده الوقت لكي يصغى إليها، فالمقاهي، والشوارع المزدحمة، والشواطئ المكتظة، تثير عندي نوعا من الحساسية والاختناق

«أما عن المرافئ، فهي آخر ما أفكر فيه، فالمرافئ هي رموز الثبات والطمأنينة والسلامة، والمرافئ هي نهاية طموح المراكب، هي ملجأ العجزة للمراكب التي تعبت، وأحيلت على المعاش

«والشعر هو مغامرة بحرية خارقة.. وصدام مستمر مع اللون الأزرق.. وصراع مع المجهول واللا منتظر

ونزار منذ مطلع شبابه وهو متمرد يريد أن يحدث ثورة في الشعر العربي.

وكان يقول أنه لا يوجد في حياتنا سوى شوقي واحد، وفاليري واحد، وبشارة الخوري واحد.. وكل نسخة أخرى تظهر في السوق لهؤلاء المبدعين هي نسخة مزورة.

ولذلك كان نزار شخصية مختلفة متفردة.. وجاء شعره جديدا متميزا...

* * *

هذا كان أساس تفكير نزار قباني الشعري في عام ١٩٤٠، وعمره لا يتجاوز الثامنة عشرة، فقد كان يعتقد أن ثمانية بالمائة من القصائد العربية «مجرد براويز» متشابهة، بالطول، والعرض، والزخرفة، وأن ثمانية بالمائة من شعرائنا كانوا نسخا منسوخة نسخا رديئا عن الأصل..

بهذا كان نزار يفكر، وهو يصغى مع رفاق المدرسة الثانوية إلى قصائد كبار شعراء الشام آنئذ، وهم يلقون قصائدهم على منبر الجامعة السورية أو على غيرها من المنابر في المناسبات القومية المختلفة.

كان لديه إحساس بأن الزمن الشعري العربي، واقف في مكانه، وأن شعرنا في النصف الأول من القرن العشرين، لا يختلف عن شعرنا في القرن الأول أو القرن الثاني، أو العاشر

براويز بلاغية تنتقل من يد إلى يد، ومن مالك إلى مالك.. أما الصورة داخل البرواز فواحدة..

كان يرى أن القصيدة العربية ظلت حتى العشرينيات من هذا القرن تلبس العباءة، وتشرب في الوقت ذاته القهوة في فنادق القاهرة وبيروت وبغداد ودمشق كان ثمة تناقض مخيف بين زيها وسلوكها..

كان نزار يرى أننا انتقلنا إلى المدينة ولكن ظلت أوتاد البادية مفروشة في أعماقنا.

كان يرى أننا رغم أننا عرفنا أزهار «المارجريت»، و«البانسيه»، «والجاردينيا» لكن ظلت رائحة «الرند» و«العرار» كامنة في رئتينا، وحملنا معنا إلى غرف نومنا.. نوقنا وظبائنا

وكان يؤمن أن القصيدة العربية تعاني انفصاما حادا في الشخصية، وكان يحس، وهو يقرأ شعراء عصر النهضة، أنه يحضر حفلة تنكرية.. وأن كل شاعر يستعير القناع الذي يعجبه.

هذا يستعير سيف أبي نواس، وذاك يستعير حصان عنترة، وثالث يستعير عباءة

ابن الرومي.. في وسط هذه الحفلة التنكرية، كان نزار يتساءل وهو شاب يافع، لماذا لا يكشف هؤلاء عن وجوههم الطبيعية، ويتكلمون بأصواتهم الطبيعية؟

ولماذا يستعيرون لغة الآخرين، وعصر الآخرين؟

في هذا الاحتفال الكرنفالي الذي لم تتضح فيه ملامح معظم شعراء العربية، قرر نزار بحماس الشباب أن يغير بروتوكول الحفلة، ويخرق نظامها.

وبكل بساطة، دخل نزار القاعة المكتظة بوجهه الطبيعي، وملابسه العادية، وفي يديه أول مجموعة شعرية له تحت عنوان «قالت لي السمراء» أعلن في أول صفحة فيها المانفستو النزاري المتمرد الذي يعلن فيه:

قلبي كمنفضة الرماد.. أنا
إن تنبشي ما فيه.. تحترقي
شعري أنا قلبي.. ويظلمني
من لا يرى قلبي على الورق..

كما يعلن لقرائه بكل بساطة ووضوح:

عزفتُ، ولم أطلب النجم بيتا
ولا كان حلمي أن أخلدا
إذا قيل عني «أحس» كفاني
ولا أطلب «الشاعر الجيدا»
شعرت «بشيء» فكونت «شيئا»
بعفوية، دون أن أقصدا
فيا قارئي.. يا رفيق الطريق
أنا الشفتان.. وأنت الصدى

وبرغم غلبة طابع شعر الغزل الحسي المكشوف على الديوان إلا أننا نجد بعض ومضات الشعر العاطفي الرومانسي الهامس، حين يخاطب ملهمته المسافرة قبل أن يودعها قائلا: (١)

أيـن تمـضـين؟ كـيـف تمـضـين؟ ردي
وأغـاني ضـارعـات ببـابك
وبـبـيـتي من ضـوء عـينيك ضـوء
وبـقـايا من رائعـات ثيـابك
أنـت لـي رحـمـة بيـضـاء
أحس السـلام في أعـتـابك
أنـت كـوخ الأحـلام آوى إليـه
أشـرب الصـمت في حـمى أعـشـابك
أنـت شـط أغـفـت عليـه الهـناءات

وجاء شعره الغزلي منذ صدور قالت لي السمراء عام ١٩٤٤ انقلابا على مفهوم شعر الغزل العربي، ووثيقة جريئة فقد كتب للناس بلغة الناس، وجعل القصيدة خبزا يوميا بمتناول الجميع، واستطاع أن يكسب للشعر قاعدة جماهيرية لم يصل إليها الشعر العربي من قبل.

* * *

(١) قالت لي السمراء / قصيدة «مسافرة».

مختارات من أحلى
قصائد نزار العاطفية

لا تحبيني

هذا الهوى.. ما عادَ يُغريني!
فَلْتَستريحي.. ولْتُريحيني
إنْ كان حبُّك.. في تقلُّبه
ما قد رأيتُ.. فلا تُحبّيني
حُبّي.. هوَ الدُّنيا بأجمعها
أما هواك. فليسَ يعنيني
أحزاني الصغْرى.. تعانقني
وتزورني.. إنْ لَم تزوريني
ما همَّني.. ما تشعرينَ به
إنَّ افتكاري فيك يكفيني
فالحبُّ. وهمٌ في خواطرنا
كالعطر، في بال البساتينِ

* *

عيناك. من حُزْني عشقتهما
مَا أنت؟ ما عيناك؟ مَن دُوني
فمكُ الصَغيرُ.. أدرتَهُ بيدي
وزرعتُهُ أزهارَ ليمونِ

حتى جمالُكِ، ليس يُذْهلني
إن غابَ من حين إلى حينَ
فالشوقُ يفتحُ ألفَ نافذة
خضراءَ.. عن عينيكِ تُغْنيني
لا فرقَ عندي يا معذِّبتي
أحببتني، أم لم تُحبِّيني..
أنت استريحي.. من هوايَ أنا
لكنْ سألتُكِ.. لا تُريحيني

* *



اغـــضب

اغضبْ كما تشاءُ . .
واجرحْ أحاسيسي كما تشاءُ
حطِّمْ أواني الزهر . . والمرايا . .
هدِّد بحبِّ امرأة سوايا . .
فكلُّ ما تفعلُهُ سَواءُ . .
وكلُّ ما تقولهُ سواءُ . .
فأنتَ كالأطفال يا حبيبي
نحبُّهمْ . . مهما لنا أساؤوا

* *

اغضبْ !
فأنتَ رائعٌ حقًا متى تثُورُ
اغضبْ !
فلولاَ الموجُ ما تكوَّنتْ بحورُ . .
كُن عاصفًا . . كُنْ ممطرًا . .
فإنَّ قلبي دائمًا غفورُ
اغضبْ !
فلن أُجيبَ بالتحدِّي
فأنتَ طفلٌ عابثٌ . .

يملؤهُ الغرورُ. .
وكيفَ من صغارِها. .
تنتقمُ الطيورُ؟

*

اذهبْ. .
إذا يومًا مللتَ منِّي. .
واتَّهم الأقدارَ واتَّهمْني. .
أما أنا فإنِّي. .
سأكتفي بدمعتي وحزني. .
فالصَّمتُ كبرياءُ.
والحزنُ كبرياءُ.
اذهبْ.
إذا أتعبَكَ البقاءُ. .
فالأرضُ فيها العطرُ والنساءُ. .
وعندما تريدُ أن تراني. .
وعندما تحتاجُ كالطِّفل إلى حناني. .
فَعُدْ إلى قلبي متى تشاءُ. .
فأنتَ في حياتيَ الهواءُ. .
وأنتَ. . عندي الأرضُ والسماءُ. .

*

اغضب كما تشاءُ. .

واذهبْ . . متى تشاءُ
لابد أن تعود ذات يوم
وقد عرفت ما هو الوفاء . .



يجوز أن تكوني

يجوزُ أن تكوني
واحدةً من أجمل النساء . .
دافئةً . . كالفحم في مواقد الشتاء . .
وحشية . . كقطة تموء في العراء . .
آمرة . . ناهيةً كالأميرات . .

*

يجوزُ أن تكوني . .
سمراءَ . . افريقيَّةَ العيون . .
عنيدةً . . كالفَرَسِ الحَرُونِ . .
عنيفةً . . كالنارِ ، كالزلزالِ ، كالجنونِ .
يجوزُ أن تكوني . .
جميلةً ، ساحقةَ الجمال . .
مثيرةً للجلد ، للأعصابِ ، للخيالِ . .
وتُتقنينَ اللهوَ في مصائرِ الرجالِ . .

*

يجوز أن تترائى أمامي . .
كالسَّيف في الظلام . .

مليسة كريشة النعام . .
قلبك مُهْرٌ أبيضٌ
يجري بلا سرج ولا لجامِ . .
يَجوزُ أن تبقي هُنا . .
عاماً وبعضَ عامِ . .
فلا يثيرُ حسنُكِ المدمِّرُ اهتمامي . .
كأنَّما . .
ليستْ هناك امرأةٌ . . أمامي . .

*

يجوزُ أن تكوني
سلطانةَ الزمان والعصور . .
وأن أكون أبلهاً . . معقَّدَ الشعورِ . .
يجوزُ أن تقولي .
ما شئت عن جُبني . . وعن غروري .
وأنَّني . . وأنّني . .
لا أستطيعُ الحُبَّ . . كالخصيانِ في القصورِ . .
يجوزُ أن تُهدِّدي . .
يجوزُ أن تُعربدي . .
يجوزُ أن تَثوري . .
لكنْ أنا . .
رغمَ دموع الشمع والحريرِ . .

وعُقدة (الحريم) في ضميري . .
لا أقبلُ التزويرَ في شعوري . .

*

يجوزُ أن تكوني
شفَّافةً كأدمع الربابَهْ
رقيقةً كنجمة ، عميقةً كغابَهْ . .
لكنَّني أشعرُ بالكآبَهْ . .
فالهوى - في تصوري -
حكايةُ انسجامِ . .
كالنحت ، كالتصوير ، كالكتابَهْ . .
وشخصكَ النقيُّ ، كالقشطةِ والرُّخَامِ
لا يُحسنُ الكتابَهْ . .



تعوَّدِ شَعْري علَيكْ

تعوَّدَ شَعْري الطويلُ عليكْ
تعوَّدتُ أرخيه كلَّ مساء
سنابلَ قمحٍ على راحتيكْ
تعوَّدتُ أتركه يا حبيبي . .
فكيف تَمَلُّ صداقةَ شَعْري؟
وشَعْري ترَعْرعَ بين يديكْ .

*

ثلاثُ سنينْ . .
ثلاثُ سنينْ . .
تُخدِّرني بالشؤون الصغيرَهْ . .
وتصنع ثوبي كأيِّ أميرَهْ . .
من الأرجوان . . من الياسمينْ .
وتكتبُ اسمَكَ فوق الضفائرْ
وفوق المصابيح . . فوق الستائرْ
ثلاثُ سنينْ . .
وأنتَ تردِّد في مسمعيًا . .
كلاماً حنوناً . . كلاماً شهيّاً . .
وتزرعُ حبَّك في رئتيًا . .

وها أنتَ . . بعد ثلاث سنينْ . .
تبيعُ الهوى . . وتبيعُ الحنينْ
وتترك شَعْري . .
شقيّاً . . شقيّا . .
كطيرٍ جريحٍ . . على كتفيَّا

*

حبيبي ! أخافُ اعتيادَ المرايا عليكْ . .
وعطري ، وزينة وجهي عليكْ . .
أخافُ اهتمامي بشكل يديْكْ . .
أخافُ اعتيادَ شفاهي . .
مع السنوات ، على حدَقَتيك
أخافُ أموتُ ، أخافُ أذوبُ
كقطعة شمعٍ على ساعديْكْ . .
فكيف ستنسى الحريرَ؟
وتنسى . . عبير الحرير على رُكْبتيكْ؟

*

لأني أُحبُّكَ ، أصبحتُ أجمَلْ
وبعثرتُ شعري على كتفيَّ . .
طويلاً . . طويلاً . . كما تتخيَّلْ . .
فكيف تملُّ سنابلَ شعري؟
وتتركه للخريف وترحَلْ

وكنتَ تريحُ الجبينَ عليه
وتغزلُهُ باليدين فيُغْزَلْ . .
وكيف سأُخبرُ مِشْطي الحزينْ؟
إذا جاءني عن حَنانكَ يسألْ . .
أجِبْني . ولو مرةً يا حبيبي
إذا رُحْتَ . .
ماذا بِشَعْري سأفعَلْ؟



مَاذا أقولُ له ؟

مـــاذا أقــــول لهُ لـو جـــاء يســـألني . .
إن كـنـتُ أكـــــــرهــهُ أو كـنـتُ أهـواهُ؟
مـــاذا أقـــولُ، إذا راحتْ أصـــابعُـــهُ
تُلَمْلمُ الليلَ عـن شَـــعـــري وتـرعـــاهُ؟
وكَـــيف أســـمحُ أن يدنو بمقـــعـــده؟
وأن تـنـام علـى خـــصـــري ذراعـــاهُ؟
غـــداً إذا جـــاء . . أُعطيـــه رســـائلَهُ
ونُطعمُ النـارَ أحلى مـــا كـــتـــبناهُ

* * *

حـــبـيـــبـتي ! هل أنا حـقّـاً حـبـيـبـتُـهُ؟
وهل أُصـــدّقُ بعـــد الـهـــجـــر دعـــواهُ؟
أمـــا انتـــهـتْ من سنين قـــصَّـتي مـــعـــهُ؟
ألـمْ تمُتْ كـــخُـــيـــوطِ الشـــمس ذكـــراهُ؟
أمـــا كَـــسَـــرْنا كـــؤوسَ الحبِّ من زمنٍ
فـكيف نبكي علـى كـــأسٍ كـــســـرناهُ؟
ربَّاهُ . . أشـــيـــاؤه الصـــغـــرى تعـــذّبُني
فـكـيف أنجـــو من الأشـــيـــاء أوّاه
هنـا جـــريدتُهُ في الركـن مـــهـــملةٌ

هنا كــــتـــابٌ مــــعـــــاً . . كنا قـــرأناهُ
على المقـــاعـــــد بعضٌ من ســــجـــــائرهِ
وفي الزوايا . . بقـــــايا من بقـــــاياهُ . .

***

مــــالي أُحــــدِّق في المرآة . . أســــألُهــــا
بــأيِّ ثـوبٍ مـــن الأثــوابِ ألْـقـــــــــاهُ
أأدعي أنَّنيَ أَصـــــبــــحتُ أكــــرهُهُ؟
وكـــــيف أكـــرهُ مَنْ في الجــــفن سكناهُ؟
وكـــــيف أهرب منه؟ إنَّه قَـــــدَرِي
هل يملكُ النهــــرُ تغــــيــــيراً لمجــــراهُ؟
أُحــــبُّـــــه . . لستُ أدري مـــــا أُحبُّ به
حــــتى خطاياهُ مــــا عـــــادتْ خطاياهُ
الحبُّ في الأرض . . بعضٌ من تخـــــيُّلنا
لو لم نجــــدهُ علَيــــهـــا . . لاخــــترعَناهُ
مـــــاذا أقُــــولُ له لو جـــاء يســـألني
إن كـــنــــتُ أهــــواهُ. إنـــي ألـــفُ أهــــواهُ . .

تريدين . .

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء . .
كنوزَ سليمانَ . .
مثلَ جميعِ النساء
وأحواض عطرٍ
وأمشاطَ عاجٍ
وسرْب إماء
تُريدينَ مَوْلًى . .
يُسَبِّح باسمك كالبَبَغاء
يقولُ : (أُحبُّكَ) عند الصباح
يقولُ : (أُحبُّكَ) عند المساء
يا شهرزادَ النساء . .
تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء
تريدينَ مني نجومَ السماء
وأطباقَ مَنٍّ . .
وأطباقَ سلوى . .
وخُفَّيْن من زَهَر الكستناء . .
تريدينَ . . من شَنْغَهايَ الحريرَ . .
ومن أصفهانَ جلودَ الفراء . .

ويولدُ بين الغمائم قصرٌ
جميعُ حجارتِه من ضِياءِ . .

*

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء
مراوحَ ريشٍ
وكُحْلاً . . وعطرا . .
تريدينَ عبداً شديدَ الغباء
ليقرأ عند سريرك شعرا . .
تريدينَ في لحظتين اثْنَتَيْن
بلاطَ الرشيد وإيوانَ كسرى .
وقافلةً من عبيد وأسرى
تجرُّ ذيولك . . يا كليْوبترا . .
ولستُ أنا . .
سندبادَ الفضاء . .
لأُحضر بابلَ بين يديْك
وأهرامَ مصر . . وإيوانَ كسْرى
وليس لديَّ سراجُ علاء
لآتيك بالشمس فوقَ إناء
كما تتمنَّى . . جميعُ النساء . .

*

وبعدُ . .

أيا شهرزادَ النساء . .

أنا عاملٌ من دمشقَ . . فقيرٌ

رغيفي أغمِّسه بالدماء . .

شعوري بسيطٌ، وأجري بسيطٌ

وأؤمنُ بالخبز . . والبسطاء

وأحلُمُ بالحبِّ كالآخرينْ . .

وزوجٍ تخيطُ ثقوبَ ردائي . .

كعصفور حقلٍ، كزهرة ماء . .

أفكِّر بالحبِّ كالآخرينْ . .

لأن المحبَّة مثل الهواء . .

لأنَّ المحبَّة شمسٌ تضيء . .

على الحالمينَ وراء القصور . .

على الكادحينَ . . على الأشقياء . .

ومَنْ يملكونَ سريرَ حرير

ومَنْ يملكونَ سريرَ بُكاءٍ . .

*

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء

تريدينَ ثامنةَ المعجزاتِ . .

وليس لديَّ . .

سوى كبريائي . .

القصيدَة البحْرّية

فـي مـرفـأ عـينيكِ الأزرقْ
أمطارٌ من ضوءٍ مسموعْ
وشموسٌ دائخةٌ.. وقلوعْ
ترسمُ رحلتَها للمُطْلَقْ

*

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
شُبّاكٌ بحريٌّ مفتوحْ
وطيورٌ في الأبعاد تلوحْ
تبحثُ عن جُزُرٍ لم تُخْلَقْ

*

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
يتساقط ثلجٌ في تمّوزْ
ومراكبُ حبلى بالفيروزْ
أغرقتِ البحرَ ولم تغرقْ

*

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
أركُضُ كالطفل على الصَّخْرِ
أستنشقُ رائحةَ البحرِ..

وأعـــودُ كـــعـــصـــفـــورٍ مُـــرْهَقْ

*

فـي مـــــرفـــــأ عـــــينيكِ الأزرقْ
أحلُـمُ بالـبـــــحـــــر وبالإبحـــــارْ
وأصـــيـــــدُ مـــــلايينَ الأقـــــمـــارْ
وعُـــــقـــــودَ اللـؤلـؤ والـزنـبـقْ

*

فـي مـــــرفـــــأ عـــــينيكِ الأزرقْ
تـتـكـلَّـمُ فـي اللـيـل الأحـــــجـــــارْ
فـي دفـــــتـــــر عـــــينيكِ المُغْلَقْ
مَنْ خـــــبَّـــــأ آلافَ الأشـــــعـــــارْ؟

*

لـو أنِّـي.. لـو أنِّـي.. بـحَّـــــارْ
لـو أحـــــدٌ يـمـنـحـنـي زورقْ
أرســـــيتُ قـلـوعي كلَّ مـــــســـــاءْ
فـي مـــــرفـــــأ عـــــينيكِ الأزرقْ

بَعد العَاصِفَة

أتُحبُّني. بعد الذي كانا؟
إني أُحبُّكِ رغم ما كانا
ماضيك. لا أنوي إثارتَهُ
حسبي بأَنَّك هاهُنا الآنا
تَتَبسَّمينَ.. وتُمْسكين يدي
فيعود شكّي فيك إيمانا
عن أمسِ. لا تتكلَّمي أَبداً
وتألَّقي شَعْراً.. وأجفانا
أخطاؤك الصُغرى.. أمرُّ بها
وأحوِّلُ الأشواكَ ريحانا
لولا المحبَّةُ في جوانحه
ما أصبحَ الإنسانُ إنسانا..

*

عامٌ مضى. وبقِيتِ غاليةً
لا هُنْتِ أنت ولا الهوى هانا
إني أُحبُّكَ. كيف يمكنني؟
أن أُشعلَ التاريخَ نيرانا
وبه مقاعدنا، جرائدُنا،

أقداحُ قهوتنا، زاويانا
طفلَيْنِ كُنّا.. في تصرُّفنا
وغرورنا، وضلال دعوانا
كَلماتُنَا الرعْناءُ.. مَضْحكةٌ
مَا كان أغباها.. وأغبانا
فَلَكَمْ ذهبت وأنت غاضبةٌ
ولكَمْ قسَوتُ عليك أحيانا
ولربَّما انقطعتْ رَسائلُنا
ولربَّما انقطعتْ هدايانا
مهما غَلَوْنا في عداوتنا
فالحبُّ أكبرُ من خطايانا..

*

عيناك نَيْسَانان.. كيف أنا
أغتَالُ في عينيك نَيْسَانا؟
قَدَرٌ علينا أن نكون مَعاً
يا حلوتي. رغم الذي كانا
إنَّ الحديقةَ لا خيارَ لها
إن أطلعتْ ورقاً وأغصانا
هذا الهوى ضوءٌ بداخلنا
ورفيقُنا.. ورفيقُ نجوانا
طفلٌ نداريهِ ونعشقه

مــهــمــا بكى مــعنا . . وأبكانا
أحــزانُنا منهُ . . ونسـألُهُ
لـو زادنا دمـعـاً . . وأحـزانا

*

هاتي يديْكِ . . فـأنتِ زنبـقـتي
وحـبـيـبـتي . رغم الذي كـانا



يوميّات قرصَان

عزيزتي ،
إذا رجعتُ لحظةً لنفسي
أشعرُ أن حبَّنا جريمَهْ . .
وأنني مهرِّجٌ عجوزْ
يقذفهُ الجمهور بالصفير والشتيمَهْ
أشعرُ أني سارقٌ
يسطو على لؤلؤة كريمَهْ
أشعرُ في قراراتي
أنَّ العبارات التي ألفظُها جريمَهْ . .
أنَّ انتصاراتي التي أزعمها
ليست سوى هزيمَهْ
فما أنا أكثر من جريدة قديمَهْ . .
وأنتِ يا صغيرتي
مازلتِ . . تحتاجينَ للأمومَهْ . .
إذا رجعتُ لحظةً لنفسي
أدركُ يا عزيزتي
تفاهةَ انتصاري
أشعرُ أنَّ حبَّنا

تجربةٌ انتحارِ . . .

وأننا . .

ننكشُ كالأطفال في هياكل المحارِ . .

أشعر أنَّ ضحكتي

نوعٌ من القمارِ . .

وقبلتي . .

نوعٌ من القمارِ . .

أشعر أنَّ نهدك المزروعَ في جواري . .

كخنجر مفضَّضٍ . .

ككوكبٍ مَداري

يشتُمني . .

يجلدني . .

يُشعرني بعاري . ..

*

إذا رجعتُ لحظةً لنفسي

أشعرُ أن حبَّنا

حماقةٌ كبيرَهْ . .

وأنني حاوٍ من الحواهْ . .

يُخرج من جيوبه الأرانبَ المثيرَهْ . .

وأنني كتاجر الرقيقْ . .

يبيع كلَّ امرأةٍ ضميرَهْ . .

أشعرُ في قراراتي

أن يدي في يدك الصغيرَهْ . .

قرصنةٌ حقيرَهْ . .

أن يدي . .

كخيط عنكبوت

تلتفُّ حول الخصرِ والضفيرَهْ . .

أشعرُ في قراراتي

أنك . بعدُ، نعجةٌ غريرَهْ

أما أنَا . . فمركبٌ عتيقٌ

يواجهُ الدقائقَ الأخيرَهْ . .



صَدِيقتي وَسَجائِري..

واصِلْ تـدخـينَكَ.. يُغْـريـني
رجـلٌ فـي لحـظـة تـدخـينِ
هـيَ نـقـطـةُ ضَـعْـفي كَـامـرأة
فـاسـتـثـمـرْ ضَـعْـفي وجُنُوني
مـا أشْـهَى تَبْـغَكَ والـدنيـا
تسـتـقـبلُ أوّلَ تشْـرينِ
والقـهـوةُ.. والصُّـحُفُ الكَسْلى
ورؤًى.. وحُـطَـامُ فـنـاجـينِ
دخِّـنْ.. لا أروعَ مـن رَجُـلٍ
يَـفْـنَـى في الـركـن.. ويُـفْـنيـني
رَجُـل.. تَـنْـضَمُّ أصـابـعُـهُ
وتُـفَكِّرُ مـن غـيـر جـبـينِ

*

أشْـعـلْ واحـدةً من أُخـرى..
أشـعلْهَـا من جَـمْـر عـيـوني
ورَمَـادُكَ ضَـعْـهُ عَلى كـفِّي
نيـرانُـكَ ليـستْ تـوذيـني
فـأنا كـامـرأةٍ.. يُرْضـيـني

أنْ ألقى نفسي في مقعدْ
ساعات.. في هذا المعبَدْ
أتأمَّلُ في الوجه المُجْهَدْ
وأعُدُّ.. أعُدُّ.. عروقَ اليدْ
فعروقُ يديْكَ.. تُسَلِّيني
وخيوطُ الشَّيْب.. هُنا.. وهُنا
تُنْهي أعصابي.. تُنْهيني
دخِّنْ.. لا أروعَ من رجُلٍ
يَفْنَى في الرُكْنِ.. ويُفنيني

*

احرق إحرق قلبي
وتصرَّفْ فيه كمجنون..
فأنا كامرأة.. يكفيني
أنْ أشعرَ أنَّكَ تحميني
أنْ أشعرَ أنَّ هناكَ يداً
تتسلَّلُ من خلف المقعدْ..
كي تمسح رأسي.. وجبيني
تتسلَّلُ من خلف المقعدْ
لتداعبَ أُذْني بسكون
ولتتركَ في شعري الأسودْ

عِـــقْــــداً مـن زَهَـرِ الـلـيـــمـــونِ

*

دخِّــــنْ . . لا أروعَ مـــــن رجُـــلِ
يــفـنــى فــي الــرُّكْــنِ . . ويُــفــنــيــنــي



عندما تُمطِرُ فَيْروزاً

لا تسألينـي . . هل أُحبُّهُمَا؟
عينيكِ . إنّي منهُمَا لهُمَا . .
ألَدَيَّ مرآتان من ذَهَب
ويُقال لي لا أعتني بهماً
أستغفرُ الفيروزَ . . كيف أنا؟
أنسى الذي بيني وبينهُمَا . .
أبلحظة تنسينَ سَيِّدتي
تاريخيَّ المرسومَ فَوْقَهُما؟
وجميعُ أخباري مُصَوَّرةٌ
يوماً فيوماً . . في اخضرارهما
نهران من تَبْغٍ ومن عَسَلٍ
ما فكَّرتْ شمسٌ بمثلهماً
وستارتان . . إذا تحرَّكتا
أبصرتُ وجهَ البدر خلفهُمَا
عامٌ . . وبعضُ العام سَيِّدتي
وأنا أُضيءُ الشمعَ حَوْلَهُما
كم جئتُ أمسحُ فيهما تعَبي

كم نمتُ، كم سريتُ عندهُمَا
كوخانٌ عند البحر.. هل سنةٌ
إلاَّ قضيتُ الصيفَ تحتَهَما
أحشو جيوبي كلَّها صَدفًا
وأذيبُ حزني في مياهِهِما..

*

عاد الشتاء بكلِّ قسوته
يمتصُّ أيَّامي فأينَ هُمَا؟
الشمسُ منذُ رحلت مطفأةٌ
والأرضُ، غيرُ الأرضِ، بَعدهُمَا
الآنَ أُدركُ، حيثُ لا قَمَرٌ
ماذا أنا.. ماذا.. بدونهِما..



أيَظُنُّ؟

أيظنُّ أنّي لُعْبَةٌ بيديه؟
أنا لا أُفكِّرُ في الرجوعِ إليه
اليومَ عادَ. كأنَّ شيئاً لم يكُنْ
وبراءةُ الأطفالِ في عَيْنَيْه
ليقولَ لي: إنّي رفيقةُ دربه
وبأنَّني الحبُّ الوحيدُ لَدَيْه
حَمَلَ الزهورَ إليَّ. كيف أرُدُّهُ
وصِبَايَ مرسومٌ على شَفَتَيْه

***

ما عدتُ أذكرُ.. والحرائقُ في دمي
كيفَ التجأتُ أنا إلى زَنْدَيْه
خبَّأتُ رأسي عندهُ.. وكأنَّني
طفلٌ أعادوهُ إلى أبَوَيْه
حتى فساتيني التي أهملتُها
فرحتْ بهِ.. رقَصَتْ على قَدَمَيْه

سامحتُهُ.. وسألتُ عن أخبارِهِ
وبكيتُ ساعاتٍ على كَتِفَيْهِ
وبدون أنْ أدري تركتُ لَهُ يدي
لتنامَ كالعصفور بينَ يديْهِ..
ونسيتُ حقدي كُلَّهُ.. في لحظةٍ
مَنْ قالَ إنّي قد حقدتُ عليهِ
كم قلتُ إنّي غيرُ عائدةٍ لهُ
ورجعتُ.. ما أحلى الرجوعَ إليهِ..



نَهْرُ الأحزان

عَـــــيْنَاكِ . . كَنَهْـــــرَيْ أحـــــزانِ
نهـــــريْ مـــــوســـــيـــــقى . . حَـــمَـــلاني
لـــوراء . وراء الأزمـــــــــــــــان
نَهْـــرَيْ مـــوســـيـــقى، قـــد ضـــاعـــا
ســـــيِّـــــدتي . . ثُمَّ أضـــــاعـــــاني
الـدمعُ الأســـــودُ فـــــوقـــــهُـــــمَـــــا
يتـــــســـــاقطُ أنـغـــــامَ بيـــــانِ . .

***

عَـــــيْنَاكِ . وتَبْـــــغي وكـــــمـــــاني
والـنغـم الـعـــــاشـــــرُ أعـــــمـــــاني
وأنـا في المقـــــعـــــد . . مـــــحـــــتـــــرقٌ
نـــــيـــــرانـي تـأكُـلُ نـيـــــرانـي
أأقـــــولُ أُحـــــبُّكِ . . يـا قَـــــمَـــــري
آه . . لـــو كـــــــــانَ بـإمـكـــانـي
فـــــأنـا لا أمـلـكُ فـي الـدنـيـــــا

إلاّ عَـــــيْنَـيْـكِ وأحـــــزانـي . .

* * *

سُـــفُـنـي في المرفـــأ باكـــيـــةٌ

تـتـــمـــزّقُ فـــوقَ الخـلـجـــانِ

ومـــصـــيـــري الأصـــفـــرُ حطّمني

حطّـم فـي صـــدري أشـــجـــاني

أأُســـافـــرُ دونـكِ لَـيْـلَـكَـتـي

يـا نـور الـعـــشق بـأجـــفـــاني

يا صـيـــفي الأخـــضـــرَ. يا شـــمـــسي

يـا أجـــمـــلَ . . أجـــمـــلَ ألـوانـي

هـل أرحـلُ عـنـكِ . . وقـــصّـــتُـنـا

أحـلـى مـن عـــودةِ نَـيْـــســـانِ

أحـلـى مـن زهـرةِ غـــاردينـيـــا

في عُـــتْـــمَـــةِ شـــعـــرٍ إســـبـــاني

يـــا حـــبِّـي الأغـلـى . . لا تـبـكـي

فـــدمـــوعُـكِ تحـــفـــر وجـــداني

إنّـــي لا أمـلـــكُ فـــي الـدنـيـــا

إلاّ عـــيـنـيـكِ وأحـــزاني

أأقولُ أُحبُّكِ يا قَمَري

آهٍ . . لو كانَ بإمكاني

فأنا إنسانٌ مفقودٌ

لا أعرفُ في الأرض مكاني

ضَيَّعَني دربي . . ضَيَّعَني

اسمي . . ضَيَّعَني عُنواني

تاريخي ! ما ليَ تاريخٌ

إنّي نِسْيَانُ النِّسْيانِ



قِصَّة خِلافَاتِنا

بِرَغْمِ . . بِرَغْمِ خلافاتِنا
بِرَغْمِ جميع قراراتِنا
بأنْ لا نعودْ
بِرَغْمِ العَدَاء . . برغْمِ الجَفَاء . .
بِرَغمِ البُرُودْ . .
برغْمِ انطفاء ابتساماتِنا
برغْمِ انقطاع خطاباتِنا
فثمَّةَ سرٌّ خفيْ
يُوحِّدُ ما بينَ أقدارِنَا
ويُدْني مواطئ أقدامِنَا
ويُفْنيك فيّ
ويصهرُ نارَ يَدَيْكِ بنار يديْ . .
برغْمِ جميع خلافاتِنا
برغْمِ اختلاف مناخاتِنا
برغْمِ سُقُوط المَطَرْ
برغْمِ استعادة كُلِّ الهدايا

وكُلِّ الصُّوَرْ
برغْمِ الإناء الجميلِ
الذي قلت عنهُ . . انكسَرْ
برغْمِ رتَابَة ساعاتنا
برغْمِ الضَّجَرْ . .
فلا زلتُ أؤمنُ أنَّ القدَرْ
يُصِرُّ على جمع أجزائنا
ويرفضُ كُلَّ اتهاماتنا . .

*

برغْمِ خريف علاقاتنا
برغْمِ النزيف بأعماقِنا
وإصرارنا . .
على وضع حدٍّ لمأساتنا
بأيِّ ثَمَنْ . .
برغْمِ جميع ادِّعاءاتنا
بأنِّي لنْ . .
وأنَّك لَنْ . .
فإنِّي أشُكُّ بإمكاننا
فنحنُ برغْمِ خلافاتنا

ضعيفانِ في وجه أقدارِنا
شبيهانِ في كُلِّ أطوارِنا
دفاترُنا، لونُ أوراقنا
وشكْلُ يديْنا . . وأفكارِنا
فحتّى نقوشُ ستاراتِنا
دليلٌ عميقْ
على أننا . .
رفيقا مصيرٍ، رفيقا طريقْ
برغْمِ جميع حماقاتِنا . .



الرسمُ بالكلماتِ

لا تطلبي منّي حسابَ حياتي
إنَّ الحديثَ يطولُ يا مولاتي!
كلُّ العصورِ أنا بها.. فكأنَّما
عمري ملايينٌ من السَنَوات
تعبتْ من السَّفَرِ الطويلِ حقائبي
وتعبتُ من خيلي ومن غَزَواتي..
لم يبق سهلٌ.. أسودٌ أو أبيضٌ
إلاّ زرعتُ بأرضه راياتي..
لم تبقَ زاويةٌ بركن خميلةٌ
إلاّ ومرَّت فوقها عَرَبَاتي..
فصَّلتُ من جلد النساء عباءةً
وبنيتُ أهراماً من الحَلَمات
وكتبتُ شعراً.. لا يشابهُ سحرَهُ
إلاّ كلام السيف في الثورات

*

. . واليوم أجلسُ فوقَ سطح سفينتي
كاللّص . . أبحثُ عن طريق نجاةِ
وأُديرُ مفتاحَ الحريم . . فلا أرى
في الظلِّ غيرَ جماجم الأمواتِ
أينَ السبايا؟ . أينَ ما ملكتْ يدي؟
أين البَخُورُ يضوعُ من حُجُراتي؟
اليومَ تنتقمُ النهودُ لنفسها . .
وتردّ لي الطَّعَنات بالطَّعَناتِ . .

*

مأساةُ هارون الرشيد مريرةٌ
لو تدركين مرارةَ المأساةِ
إني كمصباح الطريق . . صديقتي
أبكي . . ولا أحدٌ يرى دَمَعاتي . .
الجنسُ كانَ مُسكِّناً جرَّبتُهُ
لم يُنْه أحزاني ولا أزَمَاتي
والحبُّ : أصبَحَ كلّهُ متشابهاً
كتشابُه الأوراقِ في الغاباتِ . .
أنا عاجزٌ عن عشق أيّة نملةٍ

أو غيمةٍ.. عن عشقِ أيّ حصاةِ

*

فَمُكِ المطَيّبُ.. لا يَحُلُّ قضيَّتي

فقضيَّتي في دفتري ودَوَاتي

كلُّ الدروب أمامنا مسدودةٌ

وخلاصُنا.. في الرسم بالكلماتِ..



أحلَى خبَر

كتبتُ (أُحبُّكِ) فوقَ جدار القَمَرْ
(أُحبُّكِ جداً)
كما لا أَحَبَّكِ يوماً بشَرْ
ألَمْ تقرأيها؟ بخطٍّ يدي
فوق سُور القَمَرْ
وفوق كراسي الحديقة . .
فوقَ جذوع الشَجَرْ
وفوق السنابلِ
فوق الجداولِ
فوقَ الثَّمَرْ
وفوق الكواكب تمسحُ عنها
غُبارَ السَّفَرْ . .

*

حفرتُ (أُحبُّكِ) فوق عقيق السَّحَرْ
ألم تُبْصريها؟

على وَرَقات الزهَرْ

على الجسر، والنهر، والمنحدرْ

على صَدَفات البحارِ

على قَطَرات المطرْ

ألم تَلْمحيها؟

على كلِّ غصنٍ

وكلِّ حصاةٍ، وكلِّ حجرْ

*

كتبتُ على دفتر الشمس

أحلى خبرْ . .

(أُحبُّكِ جداً)

فليتكِ كنتِ قرأتِ الخبرْ



صَبَاحُكِ سُكّر

إذا مــــــــــرَّ يـومٌ. ولـم أتـذكَّــــــــــرْ
بـه أن أقـــــولَ: صــــبــــــاحُكِ سُكَّـرْ. . .
ورحـتُ أخـطُّ كـطفلٍ صــــــغــــــيــــــرٍ
كـــــلامــــاً غـــــريبـــاً على وجـــه دفـــتـــرْ
فـــــلا تَضْـــــجـــري من ذهولي وصـــــمـــــتي
ولا تحـــــسبي أنَّ شـــــيـــــئـــــاً تـغـــيَّـــرْ
فــــــحين أنـا. لا أقـــــــولُ: أُحـبُّ. .
فـــــمـــــعناهُ أني أُحـــــبُّكِ أكـــــثـــرْ. .

*

إذا جـــــئـــــــتني ذات يـومٍ بـثـــــوبٍ
كـــعـشب البـحــيـرات. . أخــضــرَ. . أخــضـرْ
وشَـــــعْـــــرُكِ ملقًى على كَـــــتِـــــفَـــــيك
كــــبــــحــــر. . كـــأبعـــاد ليلٍ مــــبــــعـــثــرْ
ونـهــــــدُك. . تحت ارتـفـــاف القـــمـــيصِ
شـــــهيٌّ. . شـــــهيٌّ. . كطعنة خنجــــرْ
ورحـتُ أعـبُّ دخـــــــانـي بـعــــــمــــق

وأرشف حبْرَ دَواتي وأسكرْ
فلا تنعتيني بموت الشعور
ولا تحسبي أنّ قلبي تحجَّرْ
فبالوَهْمِ أخلقُ منكِ مثالاً
وأجعلُ قلبك.. قطعةَ جوهرْ
فبالوَهْمِ.. أزرعُ شعركِ دفْلي
وقمحاً.. ولوزاً.. وغابات زعترْ..

*

إذا ما جلستِ طويلاً أمامي
كمملكةٍ من عبير ومرمرْ..
وأغمضتُ عن طيِّباتكِ عيني
وأهملتُ شكوى القميص المعطّرْ
فلا تحسبي أنني لا أراكِ
فبعضُ المواضيع بالذهن يُبْصَرْ
ففي الظلِّ يغدو لعطرك صوتٌ
وتصبح أبعادُ عينيكِ أكبرْ
أُحبُّكِ فوقَ المحبَّة.. لكنْ
دعيني أراكِ كما أتصوَّرْ

حقائِب البُكاء

إذا أتى الشتاءْ
وانقطعتْ عَنْدلةُ العنادلِ
وأصبحتْ
كل العصافير بلا منازلِ
يبتدئ النزيف في قلبي . . وفي أناملي
كأنما الأمطارُ في السماءْ
تهطلُ يا صديقتي في داخلي
عندئذٍ . . يغمرني
شوقُ طفوليٌّ إلى البكاءْ
على حرير شعرك الطويل كالسنابلِ
كمركبٍ أرهقه العياءْ
كطائرٍ مهاجر
يبحث عن نافذةٍ تُضاءْ
يبحثُ عن سقفٍ لهُ
في عُتْمة الجدائلِ

إذا أتى الشتاء..
واغتال ما في الحقول من طُيوبِ
يأتي إليَّ الحزنُ من مغارة المساءْ
يأتي كطفل شاحب غريب
مبلَّل الخدينِ والرداءْ
وأفتحُ البابَ لهذا الزائر الحبيبِ
أمنحهُ السريرَ.. والغطاءْ
أمنحهُ.. جميع ما يشاء

**

من أين جاء الحزنُ يا صديقتي؟
وكيف جاءْ؟
يحمل لي في يده..
زنابقًا رائعةَ الشحوب
يحملُ لي..
حقائب الدموع والبكاء

الضَفائِر السُود

يا شَعْرَها.. على يدي
شلاَّلَ ضوءٍ أسود..
ألْمَّهُ.. سنابلاً
سنابلاً، لم تُحْصَدِ
لا تربطيهِ.. واجعلي
على المساء مقعدي..
من عُمرنا، على مخدّاتِ
الشذا. لم نرقُدِ..
وحَرَّرْتُهُ.. من شريطٍ
أصفرٍ.. مغرِّدِ
واستغرقتْ أصابعي
في ملعبٍ.. حرٍّ.. ندي
وَفَرَّ.. تَهْرُعُتْمَةٍ
على الرخام الأجْعَدِ..
تُقلّني أرجوحةٌ سوداءُ
حيري المقصدِ

توزّعُ الليلَ على
صباحِ جيدٍ أجْيَدِ
هناكَ. طاشتْ خُصْلةٌ
كثيرةُ التمرّدِ
تُسرُّ لي.. أشواقَ صدرٍ
أهوجِ التنهّدِ
ونَبْضةَ القلبِ الصغيرِ
الصاعدِ.. المغرّدِ
تستقطرُ العطرَ منْ
لونِ فمٍ لم يُعْقَدِ
وترضعُ الضياءَ من
نهدٍ صبيٍّ المولدِ

*

قد نلتقي في نجمةٍ
زرقاء.. لا تستبعدي
تصوّري.. ماذا يكون العمرُ
لو لم تُوجدي!

دَوّرْنا القمَر

جُعْتُ.. وجاعَ المنحدَرْ
ولا أزالُ أنتظِرْ
أنا هُنا وحدي.. على
شرقِ رماديّ السُّتُرْ
مستلقياً على الذُّرى
تلهثُ في رأسي الفِكَرْ
وأرقبُ النوافِذَ الزُّرْقَ
على شوقٍ كفَرْ..
أقولُ: ما أعاقَها
فستانُها.. أم الزَّهَرْ؟
أم وردةٌ تعلّقتْ
بذيلِ ثوبِها العطِرْ
أم الفراشاتُ ترامت
تحت رجليْها.. زُمَرْ
وأقبلتْ.. مسحوبةً
يخضرُّ تحتها الحَجَرْ..
ملتفةً بشالها

لا يـرتـوي منـهـا النـظَـرْ
أصـبـي مـن الـضـوء
وأصـفى من دُمَـيْـعـات المطَرْ
تُـخْـفي تنهـداً . . نصـفُـهُ
دارَ . ونـصـفٌ لـم يَـدُرْ
قـالـتْ: صـبـاحَ الـورد . .
هـذا أنـتَ، صـاحبَ الصِّـغَـرْ؟
ألا تـزالُ مـثـلـمـا
كـنـتَ . . غـلامـاً ذا خَـطَـرْ؟
تجـعـلـني . . عـلى الثـرى
لُعْـبـاً وتقـطيعَ شَـعَـرْ . .
فـإن نـهـضْنَـا . . كـان في
وجـوهـنـا ألـفُ أثَـرْ
زمـانَ طـرّزنـا الـرُّبـى
لثـمـاً . . وألـعـاباً أُخَـرْ . .
مُـخـوّضـيْـنِ في الـنـدى
مُـغَـلْـغـلَـيْـنِ فـي الشـجَـرْ
أيَّ صـبـيّ كـنـتَ . . يـا
أحـبَّ طـفـلٍ فـي الـعُـمُـرْ

قلتُ لها: الله..
ما أكرمها تلك الذِّكرْ
أيّامَ كنّا كالعصافيرِ
غناءً وسَمَرْ
نسابقُ الفراشةَ البيضاء
ثم ننتصرْ
وندفعُ القواربَ الزرقاء
في عرضِ النَّهَرْ..
وأخطُفُ القبْلةَ من
ثغرٍ.. بريءٍ.. مختصَرْ..
ونكسر النجومَ ذرّات
ونحصي ما انكسَرْ
فيستحيلُ حولَنا
الغروبُ شلاّلَ صُوَرْ
حكايةٌ نحنُ. فعندَ
كلِّ وردةٍ خَبَرْ!..
إنْ مرةً سُئلت قولي:
نحنُ دوّرنا القمَرْ..

عَرُوسَةُ السُكَّرْ

لا تقرأيني مرةً أُخْرى . .
فإنَّ قراءتي خَطَرٌ . .
وفَلْسَفَتي ضَلالْ . .
إنِّي أُحبُّ . . ولا أُحبُّ . . .
وكُلُّ أسْمَاء النساء . .
على مُفكِّرتي ، احتمالْ . .
ما عدتُ أعرفُ هذه ، ، من هذه . .
فلقد تكسَّرت النصالُ ، على النصالْ . . .

*

لا تُخْدَعي بالشِّعْر . إنّي واحدٌ
من بين آلاف الرجالْ .
أنا لا أزَالُ مُسلَّحاً ببَدَاوتي
أنا لا أزَالْ . .
أستَنْشقُ الفَرَس الجميلةَ بين آلاف الخُيُول . .
وأشْتَهي لَحْمَ الغَزَالْ . .
يا رُبَّ ثغر قد شَرَبْتُ حليبَهُ

وطَمَرْتُهُ تحت الرِمَالْ . .

❊

لا تقرأي شعْري . . ولا تَتَّورطي
بدُخُول غابات الخيالْ
كَمْ مِنْ عَرُوسة سُكَّرٍ . .
داعبتُها في الفَجْرِ . .
ثُمَّ أكَلْتُها عندَ الزَّوَالْ . . .



اعترافاتُ رَجلٍ نرْجسيّ

. . . وبعدَ ثلاثينَ عاماً
تأكّدْتُ أنّي أُحبُّكِ . .
بعدَ ثلاثينَ عامْ .
وأنّك امرأتي دونَ كُلِّ النسَاءْ
وأيَقنْتُ أنَّ جميعَ الذي كانَ قَبْلَكِ
كانَ سرَاباً . .
وكانَ دُخَاناً . .
وكانَ احْتلاَمْ . . .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
عرفتُ غبَائي الشديدْ
وسُخْفي الشديدْ
وأيقنتُ أنّكِ شَمْسُ الشُّمُوسِ
وبَرُّ السَلامْ .
وأنّي بدونك طفلٌ
أضاعَ حقيبتَهُ في الزّحامْ

وأنَّك أُمّي التي وَلَدَتْني
ومنها تعلَّمتُ كيفَ أُمَشِّطُ شَعْري
وكيف أُذاكر ليلاً دُرُوسي
وكيفَ أُهَجِّي الكلامْ. .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
طلبتُ اللُجوءَ السياسيَّ للحُبِّ. .
حين اكتشَفْتُ بأنّي تعبتُ. .
وأنّي انْهَزَمتُ. .
وأنَّ إناءَ غُروري انْكَسَرْ. .
حَجَزتُ مكاناً لحزني بكلِّ مَطَارٍ
وألغيتُ بعد قليلٍ حُجُوزَ السَّفَرْ.
فلا قَبِلَتْني بلادُ الجَفَافِ
ولا قَبِلَتْني بلادُ المَطَرْ.

*

هي النَرْجسيَّةُ قد دَمَّرَتْني
فكلُّ العيُونِ محطّاتُ ليلٍ
وكُلُّ النساء لديَّ سَفَرْ!!
أُفَتِّشُ فوقَ الخريطةِ

عن وطنٍ مستحيلِ
فما منْ رصيفٍ أنامُ عليهِ
ولا منْ حَجَرْ. . .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
خلعتُ ثيابَ التخلُّف عنِّي
وحمَّمْتُ عَيْني بماء المرايا
وضوء الرَّخَامْ.
دخلتُ زَمَانَ الحضارةِ
حين رأيتُ يَدَيْكِ
ولَمْلَمْتُ بالعين ريشَ النَّعَامْ
وعَمَّرتُ عند التقاء الضفيرةِ . . والنَّهْدِ . .
أوَّلَ عاصمةٍ للغَرامْ. . .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
وجدتُ بعينيْكِ مفْتَاحَ حُرِّيَّتي
ومن قبل عينيْكِ كنتُ ضريراً
أُفَتِّشُ عن شَمْعةٍ في الظلامْ
وقَبْلَ حرير ذِرَاعيْكِ . .

ما كان عندي
مكانٌ على الأرض فيه أنامْ. . .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
تخلَّصْتُ من عُقْدة البَدْو في داخلي
ومنْ صَرْخَة الأعْيُنِ السُّودِ
خَلْفَ ثُقُوب الخِيَامْ. .
وثَقَّفْتُ عَيْني.
وثقَّفْتُ أُذْني.
وحَطَّ السُّنُونو على كَتفيَّ
وفَتَّحَ في القلب وَرْدُ الشَآمْ. .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
بدأتُ أُجَمِّعُ أجزاءَ نفسي
وألْصقُها بعد طول انْفصَامْ.
وقرَّرتُ أن أستعيدَ لياقةَ فكْري
ودهْشَةَ شعْري. .
وكنتُ أفكِّرُ تحتَ الرُكامِ
وأكتُبُ تحتَ الرُّكَامْ. .

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
وجدتُك تحت قميصي
مُخَبَّأةً مثلَ فَرْخ الحَمَامْ . .
وحين مددتُ إليك يديَّ
تحوَّلت في لَحَظَاتَ
إلى امرَأةٍ من غَمَامْ . .

*

وبعدَ ثلاثينَ عاماً
رأيتُ بعينيْك الحياة
وشاهدتُ نُورَ السماء
وشاهدتُ بَرْقاً .
وشاهدتُ ناراً .
وشاهدتُ بالعَيْن . . رائحةَ الياسمينْ
وشاهدتُ . . شاهدتُ .
حتى نسيتُ الكلامْ . . .

*

سناءٌ من الكُحْلِ ، تمحُو نساء
نساءٌ تكسَّرْنَ فوقَ نساءْ
وأنت ستبقينَ . . بعد ثلاثين قَرْناً
ستبقينَ بيتَ القَصيد . .
ومِسْكَ الختامْ . .

نيسان (أبريل) ١٩٩١

عندما ولدت القصيدة

ولدتُ. . .
في الواحد والعشرين من آذار
في ذلك اليوم المزاجيِّ الذي
تراهق الأرض به
وتحبل الأشجار

*

ماذا جرى في بَيْتنا؟
في ليلة الواحد والعشرينَ من آذارْ
فحرَّكَ الدُّمُوعَ والأشجانْ
وما لأُمّي قد بَدَتْ شاحبةً؟
وابتلعتْ صُراخها.
ومزَّقتْ فراشَها.
واستَنْجَدتْ بمريمَ العذراء، في مخَاضِها
وسُوَرة الرحمنْ
لا أحَدٌ أجابَني. .
لكنَّني أحْسَسْتُ أنَّ امْرأةً في بيتنا

كانتْ تعيشُ حالةَ ابتكارْ. . .
وُلدْتُ في بُرْجِ الحَمَلْ.
بُرْجِ المجانينِ الذينَ قَرَّرُوا
أن يسرقُوا من المساءِ النارْ. . .

*

خرجتُ من مَحارتي
مُضَرّجاً كالسَمكَةْ. .
وفي يدي طَبْشُورةٌ تبحثُ عن جدارْ. .

*

هوايةُ التكْسير . .
كانَتْ مهنتي .
وشَهْوَةُ الخُروجِ منْ
عباءةِ الأخْوَالِ والأعْمَامْ. . .

*

يومَ اشتروا لي قَلماً . . ودَفْتَراً
قرَّرتُ أن أكونَ منِ عائلة البُرُوقِ. .
لا عائلةِ الأحجارْ. .

*

وُلدتُ . .
في الواحد والعشرينَ من آذَارْ .
وكنتُ في طُفُولتي
- كما تقولُ جارةٌ قديمةٌ في حَيِّنَا -
مُسْتَنْفَراً للعشْقِ . . مثل الديكِ . .
كانتْ مهْنَتِي
أن أجْمعَ النساءَ في قَارُورةٍ . .
وأجْمعَ الأزهارْ . . .

*

وعندما جاء أبي
في آخرِ النَّهَارْ
قالَ لأمِّي ضاحكاً :
(استَبْشري يا فائزَهْ) . .
هذا الذي أنجَبْته
ليسَ بطفلٍ أبداً . .
لكنَّهُ إعصارْ . . .

*

حليبُ أُمّي . . كان حِبْراً أبيضاً
وثَدْيُها علَّمني صناعةَ الفَخَّارْ .

وُلدْتُ في دمَشقْ.
بينَ خصَاصِ الفُلِّ..
والخُبّيزة الخضراء..
والنَّرْجسِ..
والأضَاليا..
ولم يزَلْ في لُغَتي
شيءٌ من القرْفة، والكمُّون، والبَهَارْ..
مَسْقَطُ رأسي في دمشقَ الشامْ.
حيثُ البيوتُ امرأةٌ عاريةٌ
على بياضِ نهدها..
تُراهقُ الأنهارْ..
مُعْجزَةٌ أن يُولَدَ الإنسانُ في مدينةٍ
ترمي على أكتافه
في الصيف، آلافاً من الأقمارْ..

*

ما كانَ عندي أبداً مشكلةٌ
فكلُّ شيء هَاهُنا، وجدتُهُ مُلَحَّناً
الأرضُ، والمساءُ، والحقولُ،
والطيورُ، والرياحُ، والأمطارْ.

كيفَ أقولُ: إنَّني وُلِدْتُ؟
ولم أزلْ في بطن أمّي جالساً
كفَرْخة مَذْبُوحة . .
منتظراً أن يأخُذُوا أُمّي
إلى طاولة الولادَهْ . .

*

ولادتي . .
كانتْ بلا سابقة .
لم يَسْحبِ الطبيبُ رأسي أوّلاً
وإنَّما أعطيتُهُ أصابعي . .

*

شَابَتْ حروفُ القَلْبِ، يا سيِّدتي
وشابَت الأوراقُ والأقلامْ .
ولم أزَلْ من ألفِ . . ألفِ عامْ
في غرفة الولادَهْ . .
مُنْتَظراً ولادتي الأُخرى، على يَدَيْك . .
مُنْتَظراً . . أن تفتحي الأقفاصَ يا سيدتي . .
كي يخرجَ الحَمَامْ . . .

لندن - ٢١ آذار (مارس) ١٩٩٢

التلميـــذ

تَورَّطتُ في الحُبِّ، خمسينَ عاماً
ولازلتُ أجهلُ ماذا يدورُ برأس النساءْ
وكيف يُفكّرْنَ . .
كيف يُخَطِّطنَ . .
كيف يُرتِّبْنَ أشياءَهُنَّ . .
وكيفَ يُدرِّبْنَ أثداءهُنَّ . .
على الكَرِّ، والفَرِّ . .
والغَزْو، والسَّلْب . .
والسَّلْمِ، والحَرْبِ . .
والموتِ في ساحةِ الكبرياءْ .

*

قرأتُ كتابَ الأُنُوثةِ،
حَرْفاً فحَرْفاً .
ولم أتعلَّمْ - إلى الآنَ -
شيئاً من الأبجديَّهْ .
ولازلتُ أشعرُ أنّي أُحبُّكِ

في زَمَن الجاهليَّهْ . .
وألثمُ حنَّاءَ شَعْرك
بالطُّرُق الجاهليَّهْ
ولازلتُ أشعرُ أنَّ الهوى في بلاد العُرُوبةِ
ليس سوى غزوةٍ جاهليَّهْ!!

*

قضيتُ بشارع عينيك . .
نصْفَ حياتي
ومازلتُ أجهلُ من أينَ بابُ الخروجْ؟
وأينَ نهاياتُ هذا الفَضَاءْ؟
ومازلتُ أجهلُ كيفَ يهدِّدُ مهْدٌ
بسنِّ الطُفُولة
أمْنَ الرجَال . .
وأمْنَ القضاء!!

*

تنقَّلْتُ بينَ قوارير عطْرِكِ
خمسينَ عاماً.
وبينَ بساتين شَعْرِكِ
خمسينَ عاماً

وبينَ تقاسيمِ خَصرِكِ
خمسينَ عاماً.
ومازلتُ أجهلُ كيفَ أفُكُّ حُرُوفَ الهجاءْ؟
وكيفَ أفُكُّ الضفَائرَ..
كيف أشيلُ الدبَابيسَ منها
إذا ساعةُ الحَسْمِ دقَّتْ...
وفاضَتْ دُموعُ الشتَّاءْ..

*

تَورَّطتُ فيكِ..
عميقاً.. عميقاً..
إلى أنْ وصلتُ لحالِ التجلّي.
وحالِ التماهي.
وحالِ الحُلُولِ.
وحالِ الفَنَاءْ.
ومازلتُ أجهلُ ما الفرْقُ
ما بينَ رائحةِ الجَسَدِ الأنثويِّ
ورائحةِ الكَسْتَناءْ..

*

دَخَلتُ لمدرسة العِشْقِ
خمسينَ عاماً
ومنها خرجتُ بخُفَّيْ حُنَينْ . .
أخَذْتُ بدَرْسِ التصوُّف صفْراً .
ودَرْسِ التَقَشُّف صفْراً .
ودَرْسِ الغَرَام الرومَنْسيِّ صِفْراً .
ولكنَّني . . .
ما تفوَّقْتُ إلاّ بدَرْسِ الجُنُونْ .

*

لبستُ النساءَ عليَّ قميصاً
وكنتُ أظنُّ قميصي حريرٌ
وحينَ أتى البردُ والزَّمْهَرَيرْ
تأكدتُ أنّي لبستُ العَرَاءْ . .

لندن ١٩٩٢

مــائيّــــات

بعينيْك . .
يبدأُ تاريخُ نَهْرِ الفُرَاتْ .
ويبدأُ حزني الجميلُ الذي
يتكلّمُ سَبْعَ لُغَاتْ . .
ويبدأُ عشْقي العظيمُ الذي
يَتَسلّقُ جُدْرانَ نَهْديكِ مثلَ النَّبَاتْ . . .

* * *

ويبدأ عصر من الشعر
تأخذ فيه القصيدة شكل (الفرات)؟
وتطلع منك بساتين نخل
وتطلع منك نوافير ماء
وقمح . . وقطن . . ومانغو
وتطلع من تحت ثناياك المعجزات !

* * *

بعينيك . . .
تفتح ليلا ، على القلب ،

كل جسور الفرات . .

وتأتي قلوع . . وتمضي قلوع

وبالضوء تغتسل الكائنات

أحبك حتى التناثر . .

يا امرأة . . لا تحيط بكل تفاصيلها المفردات

* * *

أحبك قبل الأنوثة، بعد الأنوثة . . .

شرق الأنوثة . . غرب الأنوثة . . .

يا امرأة لا أراها . .

ولكنها في جميع الجهات . .

* * *

فلا تخذليني . .

إذا ما طلبت اللجوء إليك

أنا سمكٌ . . يتخبط في كحلك العربي

ويبحث عن فرصة للحياةْ

* * *

أنا جالس . . تحت أوراق صفصافتين

أراقب كيف تمر الحضارات . .

من تحت أهدابك المسبلات

أحبك . . يا امرأة لا تُسمى
كأنك . . فوق التشابيه والتسميات

* * *

أنا قاب نهرين منك
فأهلاً بياقوتة العمر
أهلاً بعصفورة البحر
أهلاً بسيدة السيدات

* * *

سلامٌ . . على ورد قفطانك المغربيّ
على الخط . . والوشي . . والنمنمات
سلام على اللازورد، على النهوند
على ناي شوقك . . إذ تبدأ الدوزنات
دعيني أنامُ على كَتفَيكِ قليلاً
فإني أحس بأنك أمي
وأنك منفى العصافير والكلمات . .

* * *

سلامٌ على دهشة البرق
وهو يسافر بين السواد وبين السواد
سلام على ألف طفل

سيأتون منك . . ويأتون مني
أيا امرأة هي كل انتمائي
وكل الخرائط . . كل البلاد . .

* * *

لأذكر أنك . . آخر بيت من الشعر يروى
آخر مروحة من حرير
وآخر طفل بعائلة الياسمين
وأعرف أنك تختزلين . . طبائع كل الطيور
وأسماء كل الزهور . . وتاريخ كل النساء

* * *

بعينيك . . يلعب طفل جميل
يسمونه في بلادي القمر
أسافر بين صوت البيانو
وصوت أنوثتك الطاغية
وصوت المطر . . .
وأدخل في غابة من شموع
فيتبعني حين أمشي الشجر

* * *

لك الشكر . . يا امرأة علمتني

جنون الهوى . . وجنون السفر

لك الشكر . . باسم الدراويش والفقراء

فمن قمح عشبك . . يأكل نصف البشر

* * *

بعينيك . . تحدث كل الأعاجيب ليلا

فلا يعرف المرء ماذا سيحدث

عند هبوط المساء

ولا يعرف المرء . . ماذا تريدين أنت

وماذا تريد النساء؟

* * *

بعينيك يبدو التنبؤ صعباً

فقد تشرقُ الشَّمس حين تشاء

وقد يهطل الثلج حين يشاء

وقد يصرخ الرعد، مثل المجانين

حين يشاء . .

* * *

بعينيك . . ليس هناك ثبات لشيء

ليس هناك يقين بشيء

وليس هناك ضمان . . لمن يجلسون على نقطة الاستواء

* * *

بعينيك . .
يحدث ألف انقلاب خلال ثوان
فتمحو الظلال الظلالا
ويمحو الجنوب الشمالا
ويلغي الفضاء الفضاء
بعينيك . .
قد يرسلُ الحبُّ منا وسلوى إلينَا
ويظهر في كل يوم لدينا
صفيٌّ من الأصفياء!

لندن ١٩٩١

إلى امرأةٍ مُحَايدة..

لا تَتْرُكيني واقفاً . .
ما بين منْطَقَة البياضِ،
وبينَ منْطَقَة السَّوَادْ.
أنا في شُؤُون الحُبِّ . .
لا أرضى الوُقُوفَ على الحيَادْ.
فَرِغَتْ زُجَاجَاتُ الهوى . . فقرِّري
إن كنتِ من حزْب الجحيمِ، صديقتي
أو كنتِ من حزْب الرَّمَادْ . . .

* *

إنَّ السنابلَ أصبحتْ ذَهَبيَّةً
ما يفعلُ العصفورُ في زَمن الحَصَادْ؟
لا وَقْتَ عندي . .
كي أكونَ مُنَجِّماً.
أو باحثاً . .
أو عالماً بتحوّلات الريحِ،
أو طَبْع الجيَادْ.

أنا لستُ بَهْلُولاً . . ولا متصوِّفاً
حتَّى أتابعَ في فراش الحُبِّ . . مَبْهُوراً
حكايا شَهْرَزَادْ . .

* *

لا تَتْرُكيني نازفاً . .
بينَ القصيدة والقصيدَهْ .
إنّي تعبتُ من اللُّغات ،
فعلِّميني النطْقَ ، يا لُغَتي الجديدهْ .
قَلَقي بغير نهاية
ومرافئي في الشعْرِ ، أبْعَدُ من بعيدَهْ .
لا شيء يفصلُ بيننا . .
إلاَّ عُقُودُك . .
والأسَاورُ . .
والجريدَهْ . .

* *

بيني وبينك . .
هَضْبَةٌ أو هَضْبتانِ . .
وبَعْدَها . .
ستلوحُ لي أشجارُ جنَّتِك السعيدَهْ . .

بيني وبينك . .
بُوصةٌ أو بُوصَتَان . .
وعطرُكِ الهَمَجيُّ يغرزُ ظفْرَهُ
في مُهْجَتي . .
وأنا أمامَ العطر أركَضُ كالطريدَهْ . .

* *

فَوْضَاكِ رائعةٌ . .
فَظَلّي هكذا . .
فأنا أُحبُّكِ في غُمُوضِكِ . .
في وُضُوحِكِ . .
في ظُهُورِكِ . .
في اختفائكِ . .
في تَجلّيكِ الجميلِ
وفي حَضَارتكِ الفريدَهْ . .

* *

لا تتركيني هامشاً . .
أو نُقْطةً بيضاءَ في كُتُبِ الغَرَامْ .
البَحْرُ في عينيَّ مفتوحٌ لكل حَمَامةٍ
تأتي ،

فأينَ تُراهُ قد ذهبَ الحَمَامْ؟
يا وردةً تطفُو على سطح الجليد . .
على أُنُوثتكِ السلاَمْ . . .

* *

كيفَ العثُورُ عليكِ؟
يا مَنْ تظهرينَ، وتختفينَ
كقطَّةٍ سوداءَ في جوف الظلامْ
كيفَ العثُورُ عليكِ . . إنّي ضائعٌ
بين القطيفة، والبَنَفْسَجِ،
والزمُرّدِ، والرَخَامْ.
إنْ كنت خائفةً . . فلا تتكلّمي
فأنا أشُمُّ الصَوْتَ . .
قبل مجيئه . .
وأشُمُّ رائحةَ الكلامْ!!

* *

لا تترُكيني عالقاً بين الإجابة والسؤالْ . .
البحرُ يرفعني إلى الأعلى . .
إلى الأعلى . .
إلى الأعلى . .

وما لاحتْ بلادُ البُرْتُقالْ.

تتقاطعُ الأشكالُ والألوانُ في رأسي

فلا أدري الشرُوقَ من الغرُوبِ،

ولا الجنوبَ من الشمالْ.

وأنا.. أراكِ ولا أراكِ..

فقرِّري..

هل أنتِ من جِنْسِ النساءِ.. صديقتي؟

أم أنتِ سيِّدتي، احتمَالْ؟؟

* *

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠

لماذا؟

لماذا ارتبطتِ بتاريخ جرحي؟
وتوقيت حزني
وفوضى ظنوني
لماذا سرقت تقاطيع وجهي؟
وشكل يدي
ولون عيوني
أنا لا أريدك أن تشبهيني

* *

أيا امْرَأةً . .
تَتَغَرْغَرُ كُلَّ صباحٍ
بماء عُيُوني .
إذا كنت تَسْتَهْدفينَ السلامةَ يوماً
فكيف ركبْتِ حصانَ جُنُوني؟
وإن كنتِ تعتبرينَ الزَّوَاجَ على سُنَّةِ اللّهِ منّي
خلاَصاً . .
فإنَّ يقينَكِ غيرُ يقيني . .

أنا عاجزٌ عن كَفَالة نفسي
فكيفَ سأكفلُ مُسْتَقبلَ الياسمينِ؟؟

* *

أيا امْرَأةً . .
تتجوَّلُ حافيةً في خلايا جَبيني .
إذا كنت تعتبرينَ قراءةَ شِعْري
سريراً وثيراً . .
وقطْعَةَ حَلْوَى . .
وحَمَّامَ شمسٍ . . على شاطئ البَحْرِ . .
أرجُوكِ، لا تَقْرأيني . .

* *

أيا امْرَأةً . .
تتوهَّجُ كالسيف، بين سُطُور كتابي .
لماذا تُحبّينَ شِعْري؟
وتستمتعين بمرأى اللهيبِ، ومرأى الدُّخَانِ،
ومرأى الخَرَابِ؟
لماذا تُحبّينَ رائحةَ الحُزْنِ تحتَ ثيابي؟
وتأتينَ كلَّ صباحٍ لمقهى اكتئابي
ولا تقرأينَ الجرائدَ مثْلي . .

ولا تعرفينَ التواريخَ مِثْلي . .
ولا تسألينَ عن الطَّقْس، مِثْلي . .
لماذا طلبت اللُّجوءَ لغابات صَدْري؟
وكيفَ تنامينَ بين صراخ عُرُوقي . .
وبين صراخ الذئابِ؟؟

* *

أيا امْرَأةً . .
يبدأُ العُمْرُ عند ابتداء يَدَيْهَا .
لماذا معي تحملينَ أليمَ العَذَابِ؟
أنا رجُلٌ من نسيجٍ غريبٍ . .
وعَصْرٍ غريبٍ . .
وطَقْسٍ غريبٍ . .
فكيف تركت قُصُورَ أبيكِ؟
وخَيْلَ أبيك . .
وَجَاهَ أبيك . .
وكيف رَفَضْتِ جميعَ ذُكُور القبيلةِ . .
كي تَتْبَعيني؟؟

* *

أيا امْرَأةً . .

يسقُطُ القَمْحُ، واللوزُ، والتينُ . .

من رُكْبَتَيْها . .

أنا رجُلٌ يلبسُ الريحَ ثوباً . .

فَباسْمِ جميع الصبايا والأوفياء . .

سألُتكِ . . لا تَعْشَقيني !



القُرْمُطيّ

لماذا تُحبّينني، يا امْرأهْ؟ . . .
أنا القُرْمطيُّ المقاتلُ نَفْسي
ومنّي، سيطلعُ وَرْدُ الخَرَابِ
أنا المُتَشكّكُ في كُلِّ نصٍّ
فلستُ أُصدِّقُ إلاّ كتَابي . .
أنا المُتَنقِّلُ بينَ اكْتئابي . .
وبينَ اكْتئابي . .
فأكتُبُ فوقَ زُجَاج المقاهي
وأركَبُ ليلاً قطارَ العَذَابِ
أنا الفَوْضَويُّ.
أنا العَبَثيّ.
أنا العَدَميُّ.
أنا المُتَمَلْملُ من لونِ جلْدي
ونَبْرَةِ صوتي
ووزْنِ ثيابي . . .

* *

لماذا تُحبّينني، يا امْرأهْ؟
أنا الرجُلُ العَصَبيُّ المزَاجِ
وأنتِ الرقيقةُ مثلُ الحَمَامَهْ
وفي شَفَتَيْكِ بدَاياتُ صيفٍ
وفي شَفَتيَّ . .
عَلاَمَاتُ يوم النهايةْ . .

* *

لماذا؟
رَمَيْتِ بنَفسك في لَهَبِ التَجْربَهْ . .
وأنتِ البريئةُ . . والطَّيبهْ.
لماذا؟
دَخلْتِ بهذا النَّفَقْ . .
وليس بأرجاء بيتي
سوى عَنْكَبُوتِ القَلَقْ
وليسَ لديَّ مكانٌ تنامينَ فيه
سوى رُزْمَةٍ من وَرَقْ . .

* *

لماذا تُحبّينَني، يا امْرأهْ؟
لماذا . . تركتِ جميعَ الرجَالِ؟

وجئْت إليَّا . .
لماذا؟
وضَعْت مصيرك بينَ يَدَيَّا
أنا رَجُلٌ، لا مكانَ لهُ في جميع الخرائطْ
فلا أتذكَّرُ أينَ وُلدْتُ . .
ولا أتذكَّرُ أينَ أموتُ

* *

لماذا تُحبِّينَني، يا امْرأهْ؟
لماذا تُضيعينَ وقْتَك
في البحث عن شَمْعَةٍ في الظلامْ؟
فما عدتُ ديكاً . .
يُصَارِعُ في حَلَبَات الغرَامْ . .
ولا قَمْحَ عندي يكفي لإطْعَامِ هذا الحَمَامْ . .
نسيتُ أمامَ حماقه خديك . . فَنَّ الكَلاَمْ:
نسيتُ النقاطَ. نسيتُ الحُرُوفَ.
نسيتُ الحليبَ. نسيتُ الرُّخَامْ.

* *

لماذا تُحبِّينَني، يا امْرأهْ؟
ألمْ تسألي صاحباتِك

مَنْ ذَا أكُونْ؟

أنا مَلكُ النرجسيَّة حيناً . .

وحيناً سفيرُ الجُنُونْ . .

ألَمْ تَسْألي : من أنا . . يا امْرَأهْ؟

أنا بَطْرِيَرْكُ الفضيحة . . والسُّمْعَة السيِّئهْ . .

أنا رَسْبُوتينُ .

أنا شَهْرَيارْ .

فكيفَ رضيت الزَّوَاج بشعْري؟

ألاَ تعرفينَ بأن القصيدةَ . .

فعْلُ انْتحَارْ؟؟

* *

نَصَحْتُك . . أن تَذْهَبي ، يا امْرَأهْ .

فلستُ كما صَوَّرُوني

أمير الهوى وسفير الغزل

فمنذُ زمان بعيد . .

تَخَلّيْتُ عَن ممتلكاتي جميعاً

فلا منْ عُطُور ، ولا منْ خُصُور ،

ولا منْ شفاه ، ولا منْ قُبَلْ . .

أنا رَجُلٌ . . مَلَّ منّي المَلَلْ . . .

نَصَحْتُكِ . . أن تَرْحَلي يا امْرَأهْ . . .

فإنَّ نسائي تخلَّيْنَ عنّي

وما عدتُ أُتْقِنُ تمثيلَ دَوْرِ البَطَلْ . . .



سيرةٌ ذاتيّة

لماذا تريدينَ منّي . .
مفاتيحَ حُزْني؟
وحُزْني ، كحُزْن البلابلِ
حُزْنٌ سعيدُ . .
أنا هكذا . . منذُ خمسينَ عاماً
فلا لجُنُوني ضفافٌ.
ولا لاكتئابي حُدُودُ.
أنا هكذا . . .
أتسكّعُ بينَ فنادق حُزْني
فكَمْ مَضَغَتْني بحارٌ
وكَمْ بصَقَتْني رُعُودُ.
لماذا؟
تريدينَ تغييرَ جِلْدي؟ . .
فتغييرُ جِلْدي . .
احْتمالٌ بعيدُ . .
وتغييرُ صوتي

احْتمَالٌ بعيدُ. . .

* *

فمهما أحاطْت بيَ العاشقاتْ

شَعَرْتُ بأنّيَ في وَرْطَة

فلا أنا أعرفُ ماذا أريدُ. .

ولا الشِّعْرُ يَعْرفُ. .

ماذا يُريدُ. . .

* *

لماذا نحاول تنظير أشواقنا؟

لأشعر بالسخف

حين أقول «أحبك». .

ماذا يضيف الكلام إليك؟

وليس على كوكب الحب

شيء جديد!

* *

لماذا. . نمارس فن الخطابة

ليس هناك كلام مفيد

لماذا؟

نحاول أن نتثاقف

حين الستائر، والسقف
والأرض تحتي تميدُ

* * *

لماذا . .
أقومُ بدَوْر المعلِّمِ . .
- في ساعة الحَسْم - قُولي
ولا ساعداي زجاجٌ . . ولا شفتاي جليدُ . .
مساماتُ جلدك مَفْتُوحةٌ . .
كي يتنفَّسَ بعضَ الهواء النقيِّ . .
وبعد قليل . . يعودُ .
وماذا يُفيدُ أرسطو . . ولُورْكَا . . وكَافْكا . . وطاغورُ؟
حين تفورُ الدماءُ . . ويعوي الوريدُ . .
فماذا تهمُّ النصوصُ؟
وجسْمُك نَصٌّ فريدٌ . . فريدْ . . .



انقلابٌ.. بقيادة امرأهْ

للمرَّةِ الأولى..
في تاريخي النسائيِّ الطويلْ
تقودُ امرأةٌ انْقِلاباً عليَّ.
وتنتصرْ...

* *

للمرَّةِ الأولى..
تُطيحُ بي، ثورةٌ ثَقَافيَّهْ
خَطّطتْ لها امْرَأهْ..
فلا تُبْقي حَجَراً في مكانهْ..
أو كتاباً.. أو وَرَقَةً..
أو جُمْلةً.. أو فاصلةً في مكانها.
أو ضِلْعاً من أضلاعي في مكانهْ.

* *

للمرَّةِ الأولى..
تتناقصُ حروفُ أبجديَّتي.
ويتناقصُ عددُ أصابعي.

وتتناقصُ مساحةُ سُلْطتي.

وأشعرُ أنّني مَلكٌ

منفيٌّ خارجَ أسوار لُغَتِهْ...

* *

للمرَّة الأولى..

يُلْقى القبْضُ على قصائدي الغَزَليَّةِ الشهيرَهْ..

وتُقامُ الدعوى عليَّ..

بتُهْمة التحريض على الحُبِّ..

والتَغَزُّل

(بعُيُونِ المَهَا بين الرَّصَافةِ والجسْرِ)...

للمرَّة الأولى..

أشعرُ أنّني خارجَ السُّلْطَهْ.

وأن (جمهوريّةَ الحُبِّ)

التي حكمتُ فيها، خمسينَ عاماً

تهتزُّ تحت أقدامي...

* *

للمرَّة الأولى..

أشعرْ أنَّ امتيازاتي قد سَقَطتْ..

وأنَّ نياشيني قد انتُزعَتْ منّي..

وأنَّ نسائي خَرَجْنَ على طاعتي .
وجُنُودي هَرَبُوا من الخدمة العسكريَّهْ . .

* *

للمرَّة الأولى . .
تطرُدُني امرأةٌ من سريري
وتُرْغمني على أن أنامْ
في مَنْفَضَةِ السجائرْ ! !

* *

للمرَّة الأولى . .
تتحدَّاني الكلِمةُ الأُنثى
وتُحَطِّمُ كبريائي ،
وشُهْرتي ،
وأساطيرَ غُروري . .

* *

للمرَّة الأولى . .
تخلَعُني امرأةٌ عن عَرْشي
المُطَعَّمِ بالذَّهَبِ . . والياقُوتِ . .
والحجارة الكريمَهْ . .
وتأخذُ منّي مفاتيحَ وزارة الثقافَهْ . .

ومفاتيحَ النَّحْو . . والصَّرْفِ . . واللُّغهْ . .
وتعيدُني بدويّا
يكتبُ على دفاتر الريح . . .

❋ ❋

كم أنا سعيدٌ بثَوْرتِكْ
أيَّتُها الإنقلابيَّةُ الحَسْناءْ . .
فهل أجملُ من أن تحكمني وردَةٌ؟
أو غزَالةٌ؟
أو قصيدةُ شعْرٍ؟

❋ ❋

أعترفُ يا سيِّدتي
أنَّ انقلابَك كانَ ناجحاً . . وشُجَاعاً . .
وجيّدَ التخطيْط . .
وأعترفُ دونَ تردُّدٍ
(بالنظام الأُنْثَويّ الجديدْ) . .
في مُواجهة النظام العالميّ الجديدْ
فأنا لستُ ضدَّ أيِّ فَرَسٍ تريدُ أن تصهلْ . .
ولا ضدَّ أيِّ سُنْبُلةٍ تُريدُ أن ترتفعْ . .
ولا ضدَّ أيِّ سَمكةٍ تريد أن تقفزَ من البحرْ . .

ولا ضدَّ أيِّ عُصْفُورٍ
يريدُ أن يدخُلَ مدرسةَ الحريَّةْ . . .

* *

يا سلطانة السلاطين :
أنا معك . .
في انتصارك التاريخي الباهر
ولكن . . إذا قتلت جميع رجال العالم
فماذا ستفعلين وحدك ؟ !

لندن ١٩٩١



إلى امرأةٍ تحت الصِّفْر . . .

بَاردٌ حبُّك . . كالقُطْبِ الشماليِّ
فلا تستَغْرَبي منّي بُرُودي . .
باردٌ عقلُك . . كالنَّصْلِ النحاسيِّ
فلا تبكي بُرُوقي ، ورُعُودي .
لم أعُدْ أعرفُ من أنتِ . .
بعلْمِ الكيميَاءْ؟
من نحاسٍ أنتِ . . أم من خَشَبٍ . .
أم من حديدْ؟
فاعذُريني ، إن تمرّدتُ على أمر الهوى
فأنا لم أصنَعِ الحُبَّ بتاريخي
على لَوْحِ جليدِ ! ! . .

❊ ❊

كلُّ شيءٍ فيكِ ، تحت الصِّفْرِ ، يا سيِّدتي .
من أعاليَّ الرأس ، حتى القَدَمَيْنْ . .
كلُّ ما تبصره عيني . .
قماشٌ . . وخرَقْ . .
كلُّ ما تلمُسُه كَفّي
فتَافيتُ وَرَقْ . . .

كلُّ شيءٍ في كواليس الهوى
باهتٌ.. أو شاحبٌ.. أو كاذبٌ..
أو بَيْنَ بَيْنْ..

* *

أبيضٌ صوتُك كالثَّلْجِ..
وإني أكرهُ الثلجَ الذي
يسْقُطُ من صوت النساءْ..
أكرهُ الصوتَ الحياديَّ الذي
ليسَ في أوتاره حبٌّ ولا كُرْهٌ..
ولا غيمٌ ولا صَحْوٌ..
ولا موجٌ ولا بَحْرٌ..
ولا بَرْقٌ ولا رَعْدٌ..
ولا بَحَّةُ مزمار..
ولا قَطْرةُ ماءْ...

* *

مُضْجرٌ صوتُك، يا سيِّدتي، حتَّى العيَاءْ..
فهو مَنْفَى آخَرٌ..
واغترابٌ آخَرٌ..
ورحيلٌ آخرٌ دونَ رَجَاءْ.
وأنا أرجفُ من بَرْدي، ومن خَوْفي،
ومن شدّةِ إحباطي..

ولا أدري إلى أينَ المصيرْ؟

* *

مالحٌ صوتُك، يا سيِّدتي.
فهو لا يحملُ شيئاً من غوايَاتِ الأُنوثهْ..
وارتعاشات الحريرْ.
وهو لا يصلُحُ للشِّعْرِ، ولا يصلُحُ للنَّثْرِ..
ولا يوقظُ شَهْواتي.. وشَهْواتِ السريرْ..
كيفَ يا سيِّدتي أكتبُ شعْراً..
تحتَ هذا الزَّمْهَريرْ؟؟

* *

افْتَحي ثلاّجَةَ الحُبِّ..
التي عشْتُ كأسرى الحرب فيها
منذُ أعوام طويلَهْ..
فأنا اشتقْتُ إلى جسْمي.. إلى صوتي.. إلى حريّتي..
وإلى رائحة الأُنثى.. وإحساسِ الرجُولَهْ..
وإلى العُشْبِ الذي كان يُغَطي جَسَدي..
وإلى أخبار عَفْراءَ ولُبْنَى..
وإلى ورد الشِّفاه المستحيلهْ
وإلى الشِّعْر الذي علَّقْتُهُ
قَمَراً من فضَّة..
في سماواتِ القبيلَهْ...

ارْجعي لي . . وَجَعَ الإبداعِ يا سيِّدتي
والأَعاصيرَ التي كانتْ تُغني في عُيوني .
أرْجعي لي قَلَقي .
وانْسكابَ العَرَق .
من مَسامات جبيني . . .
أرْجعي كلَّ حمَاقاتي . .
وثوراتي . .
ونَوْبات جُنُوني . .
لن تكوني امرأةً يذكُرُها التاريخُ . .
إنْ لم تشربي
من ينابيع جُنُوني ! ! . . .

* *

يا التي تجلسُ في القُطْب الشماليِّ . . على إيوانها .
من تُرى يُقْنعُني أنك أُنْثى . . لا حَجَرْ ؟ . .
من ترى يُقْنعُني ؟ .
أنَّ غاباتك ملأى بالعصافير . . وملأى بالشَّجَرْ ؟ . .
من تُرى يُقْنعُني ؟
أنّ أعضاءَكِ ترمي في شهور الصيفِ أنواعَ الثَّمرْ ؟
من تُرى يُقْنعُني ؟
أنَّ هدبيك يَدُوران على نَفْسَيْهما
مثلَ دَوْراتِ القَمَرْ ؟ ؟

إنّني في مُتْحَف الشَّمْع . . أُنادي في الدهاليزِ ،
ولا أسمعُ في أرجائها أيَّ جوابْ .
أسْمعيني جملةً واحدةً . . قصةً واحدةً . .
قَبِّليني قُبْلَةً واحدةً . .
قبلَ أن أُحرقَ أوراقي . . وبيتي . . وثيابي . . .

* *

يا عروس الشمع . . إني صرت شمعا
وأنا أحفر أشعاري ليلا ونهارا
كلما حاولت أن أدخل في أي حوار
في شئون الحب . . أجهضتِ الحوارا
كلما حاولتُ أن أقنع نفسي
أنني أجلس قرب امرأة
لم أجد في جانبي إلا جدارا

لندن شتاء ١٩٩٥



أنا من جَعَلتُكِ ستَّ النساءْ...

لماذا كَسَرْتِ الإناءْ؟
وأصبحتِ ضِدَّ الكتابة،
ضِدَّ الثقافةِ، ضِدَّ الأُنوثةِ، ضِدَّ الطفُولة،
ضِدَّ النقاءْ...
لماذا خلعتِ القصيدةَ عنكِ؟
وأصبحتِ ضائعةً في العَرَاءْ..
أنا مَنْ جعلتُكِ، بالشِّعْر، ستَّ النسَاءْ!!
وغنّيتُ باسْمكِ.. حتّى زرَعْتُكِ بين نجوم السماءْ.
وهَنْدَسْتُ ثوبكِ شكلاً.. وحَجْماً..
وعلَّمتُهُ الزهْوَ والكبرياءْ.
وبَعْثَرتُ شَعْركِ شرقاً وغرباً
فشقَّ كسَيْفٍ غِلافَ الفَضَاءْ..

* *

لماذا تسلَّلْتِ من غُرفة الشِّعْر..
حيثُ البخُورُ، وحيثُ الشموعُ، وحيثُ النبيذُ،
وحيثُ الذَّهَبْ..
لماذا هَجَرتِ الفراشَ الوثيرْ؟
لكي تُصبحي قطّةً من خَشَبْ..

لماذا انتحرتِ بغير سببْ؟

* *

لماذا تركت مكانَك بينَ البيانُو . . وبين الكتابْ؟
وبينَ دموعَ موزارت . . وبين دموع السَّحَابْ.
وبينَ أناشيد لوركا . . وصوت الرَّبَابْ.
لماذا احترَفْت التسكُّعَ بين الدكاكين . .
خلف الجديدَ . . وخلفَ المُثيرِ . .
وخلف التماعَ السَّرَابْ؟
فصرت مُجرَّدَ ثوب
يُعلَّقُ بينَ ألوف الثيابْ!! . .

* *

ألا تعرفينَ بأني اخترعتُ بياضَ يَدَيْك؟
وأني اقترحتُ مكانَ الأصابع في راحَتَيكْ؟
وأني اقترحتُ بأن يطلعَ الفجرُ من بسمتيكِ؟
وأني اشتغلتُ نهاراً وليلاً . .
لأرْسُمَ بالفَحْم والزَيْت غَمَّازَتَيْكْ . .
فكيف كسرت المرايا؟
وحَطَّمت ما صَنعتْهُ يَدَايا . .
وكيف تكَونينَ في مثل هذا الغَبَاءْ؟ . . .

* *

لماذا تغارينَ من كلِمَاتي؟

لماذا تخافينَ فَتْحَ دفاتر حبّي القديمْ؟
لماذا تخافينَ من هَلْوَساتي؟
ألا تذكُرين بأني عجنتُك يوماً
بجلْدي.. ولَحْمي.. وَماء حياتي؟؟
خسرْتُ الرهانَ على كلّ شيء..
ولم يَبْقَ في ملعب الحُبِّ أيُّ حصَانْ..
ولم يبقَ قربَ سريرِكِ
ديوانُ شعْرٍ..
ولم يبقَ وردٌ ولا أُقحوانْ..
ولم يبقَ من مجد روما
سوى حلَقات الدُخَانْ!!

* *

إذا ما رفعتُ يدي
عن قميصك يوماً..
فلَنْ تعرفي أبداً موسمَ الياسمينْ!!..
لماذا تفرّينَ من قَبْضَة الذاكرَهْ؟
لماذا تنكّرت للخبزِ.. والملحِ..
والبحرِ.. والثلجِ..
والمُدُنِ الماطرَهْ؟
ألا تذكَرينَ بأنّي
كتبتُكِ فوقَ الوسائدِ سطراً.. فسَطْرا..

وأني اكتشفتُ أقاليمَ رسمك
براً . . وبَحْرًا . .
ولَمْلَمْتُ من تحت إبْطَيْك قَمْحاً . .

* *

جمالُك . . ليسَ جميلاً بدُوني . .
وسحْرُكَ ليس قوياً بدُوني . .
وكلُّ كنوزَك . .
من بعض ماَ أبدعَتْهُ ظُنوني . .
فمَنْ سيُحبُّك بَعْدي؟
إذا لم أعطِّرْكِ يوماً بعطر جُنُوني؟؟

* *

كفاك غُرُوراً وجَهْلاَ . .
فلولاَيَ لم يكُ هذا الجبينُ جبينًا .
ولم تكُ هذي الشفاهُ شفَاهَا .
فلا تقربي من قصائد شعْري
فإنّك لست على مُستواهَا!!

لندن أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥

من يوميّات عاشق متخلّف..

أأنا الأبْلَهُ . . أم أنتِ البلهاءْ؟
خمسةُ أعوامٍ مرَّتْ
وأنا أمْسَحُ ريقي كالمَجْذُوبِ
وأشْري سَمكاً تحتَ الماءْ!!

* *

يا سيِّدتي :
أرجو فَهْمَ شعُوري
فلقد أضْجَرني ضَجَري منكِ . . وقَرَفي من هذي الأجواءْ
تعبَتْ أُذُني من موسيقى (الديسكُو) . .
تعبَتْ عَيْني من سرْوال (الجينْز) . .
ومن أكياسِ (الشيْبس) . .
ومن أمطار (الكولا) تُمطرني صيفاً وشتاءْ . . .

* *

واقفاً ما بينَ عينيك . . ولا من ملجأ . .
تحتَ أمطار الشتاء الهمجيَّةْ . .
لُغَتي خائفةٌ من نفْسِها .

ويدي باحثةٌ عن يَدها .
فعلى أيِّ مَقَامٍ سأُغنّي ؟
وأنا ضَيَّعتُ نفسي . . وصديقاتي . .
وبيتي . . وعناويني . .
وضيَّعتُ الحرُوفَ الأبْجَديَّةْ ! ! . .
إنني أتركُكِ الآنَ بحفظ الله . . يا سيِّدتي .
تاركاً خلفي رَمَادي . . ودخاني . . وثيابي المسرحيَّةْ . .
انتهتْ حربي التي أعلنتُها
باسْمِ آلاف الجميلات . .
وأغلقتُ مِلفَّات القضيَّةْ ! !

لندن نيسان (أبريل) ١٩٩٦



البيان الأخير من الملك شهريارْ

كَبِّري عقلَك، يا سيِّدتي.
إنَّ ما تحكينَهُ عن وجود امرأةٍ ثانيةٍ . .
في جواريري . . وفي ذاكرتي . .
هو تأليفٌ روائيٌّ . . وشَطْحاتُ خيالْ.
إنك الأولى . . وما يتبقّى من نساء الأرضِ
ذرّاتُ رمالْ . . .

* *

لا تَخَافي . . لا تَخَافي . .
ما هناكَ امرأةٌ شقراءُ . . أو سمراءُ . .
أو سوداءُ . . أو صفراءُ . . تستدعي اهتمامي.
أنا لا أرقُصُ في الحبِّ على خمسينَ حَبْلاً . .
لا ولا أشدو على ألفِ مَقَامِ.
إنني أؤمنُ بالتوحيد في دين الهوى
فضَعي رجليْكِ في الثلجِ . . ونامي . .

* *

من تكونُ المرأة الأخرى؟ . وما أوصافُها؟
الجميلاتُ على كُلِّ رصيفٍ

غير أني لا أرى غيرَكِ في هذا الزِّحَامِ
والموديلاتُ يحرّكْنَ أحاسيسَ المرايا
غير أني لم أعانق في حياتي
غير صدر من رَخَامِ . .
والشهيراتُ يُوزعنَ التواقيعَ يميناً وشمالاً . .
غير أني لا أرى شيئاً أمامي . .

* *

إنتهى العصرُ النزاريُّ الذي أسَّسْتُهُ
وانتهتْ كلُّ حُروبي . .
وفُتُوحاتُ غرامي .
لم أعُدْ أملكُ سيفاً واحداً . .
أو حصاناً واحداً . .
أو سِوَاراً ذهبيّاً واحداً تحتَ الخيامِ .
فاستريحي من عذاباتك ، يا سيِّدتي .
ليسَ عندي جَبْهَةٌ ثانيةٌ أَفتحُها
بعدما أصبحتُ من حِزْبِ السَّلاَمِ ! ! . . .

* *

اطْمئنّي . .
ما هناكَ امرأةٌ تسرقُ منك العرشَ ، يا سيِّدتي .
فأنا أعرفُ دربي جيّداً نحوَ أبراجِ الحَمَامِ . .

وأنا أعرفُ مَنْ أرْضَعَني لبَنَ العشْقِ . .
ومَنْ علَّمني أحلى الكلامِ . .
فاشرحي لي : كيفَ أمضي هارباً من صَدْرِ أُمّي ؟
ومن التُّوت التي يقطُرُ من فمها . .
ومن الشَّمس التي تطلعُ من ضحكتِها
كيف يا واحدتي ؟
أرفُضُ الفم الذي أطْعَمَني
قَصَبَ السُّكَّرِ . . والمانغُو . . ونارنْجِ الشامِ ؟
كيف أمشي عارياً تحتَ الظلامِ ؟
وقميصي كانَ من ريش النَّعَامِ . . .

* *

لستُ مَجْذُوباً . .
لكي أهرُبَ من عُرْسٍ
وأبقى نائماً فوق الجليدْ . .
فأنا أعرفُ بالتحديد ماذا
من حبيباتي أُريدْ . .
ومن الشِّعْرِ أُريدْ . .
وأنا أعرفُ
أنْ لا شيءَ في العلْمِ النسائيِّ جديدْ ! !

كَبِّري عقْلَك . . يا سيِّدتي .
أنا ما كنت يوماً شَهْرَيارًا . .
لا ولا ذوَّبْتُ في الحامض أجسادَ النساءْ . .
كنت دومًا رجلاً لامرأة واحدة
عشيقاً جيّداً . .
أُحَاديَّ الولاءْ
بأنَّ العشْقَ في جوهَرِه
هو شعر من كتابات الفَضاء

❋ ❋

ربَما كانتْ طموحاتي غريبَهْ . .
هواياتي . . وأفكاري غريبَهْ . .
عقدتي الكبرى التي لم أُشْفَ منها
إن كلَّ امرأة أحبَبْتُها
كانَ لابُدَّ بأنْ تُشْبِهَ أُمّي ! ! .

❋ ❋

انتهى العصرُ النزَاريُّ
فلا وردٌ دمشقيٌّ . . ولا كُحلٌ حجازيٌّ . .
ولا عطرٌ فَرَنسيٌّ . .
ولا شَعْرٌ على الأكتاف مجنونٌ . .
خرجَتْ فاطمةٌ عن طاعتي

خرجَتْ راويةٌ. خرجتْ زانيةٌ.
خرجَتْ عن سلطتي أوعيةُ المِسْكِ . .
وموسيقى الأساورْ . .
هَرَبتْ كُلُّ العصافير التي خبأتُها
تحتَ الضَّفَائر ! !

* *

انتهى العصرُ النزَاريُّ الذي عاصرتهِ
وانتهى الحبُّ كَما نعرفُهُ
ودخلنا في زمان النَّرْجسيَّةْ . . .
يبسَتْ ذاكرةُ العشاقِ . . حتَّى
لم يعُدْ يذكُرُ قيسٌ
اسْمَ ليلى العامريَّةْ ! ! . . .

لندن آذار (مارس) ١٩٩٦



قصيدةٌ واقعيةٌ جداً...

عرفتُ نساءً هُنا . . ونساءً هناكْ . .
ووجهاً جميلاً هُنا . .
وقواماً رشيقاً هُناكْ . .
وغنَّيتُ أحلى القصائد تحت نوافذ كُلِّ بَلَدْ . .
ولكنّني لم أقُلْ مرةً
لأيَّة سيِّدة جالَسَتْني .
وأيَّة عابرةٍ صافَحَتْني .
«أُحبُّكِ حتَّى الأبَدْ» .
فليسَ هنالكَ في لغة العشْقِ . .
شيءٌ يُسمَّى (الأبَدْ) . . .
فكُلُّ الجميلات يأتينَ يوماً . .
ويرْحَلْنَ يوماً . .
وأبقَى وحيداً فقط . .
أنا أكتُبُ الشعْرَ للشعْرِ . .
لا للوُصُول إلى جنَّةِ المعْجَباتْ .
ولا أخلُطُ الشِّعْرِ بالعشْقِ . .

والجنسَ بالأغنياتْ . .
ولستُ أساومُ يوماً على مُقْتَنَياتي
فأثمن مُقْتَنياتي، هي الكَلماتْ . . .

* *

أنا قد أكونُ رقيقاً وعَذْباً
ولكنّني لا أبيحُ لنفسي
ابْتزَازَ الجميلات والساذَجَاتْ . .
ولستُ أُبيحُ لنفسي اغتيالَ اللُّغَهْ . .
وذبْحَ التعابير والمُفْرَداتْ .
فقلبي، إذا ما عشقتُ
يَدُقُّ بصدر اللُّغَاتْ . . .

* *

إذا كنت أنت . . مدينةَ حُبِّي
ستبقى القصيدةُ عاصمةَ الكبرياءْ . . .

* *

أنا قد أكونُ أُحبُّك . .
لكنّني لا أورِّطُ نفسي بتنميقِ أيِّ كلامْ . .
ولا أتسلَّى برَشْوة عينيك . .
عند الصباح وعند المساءْ . .

أنا رَجُلٌ لا يُريقُ دمَ الياسمينْ
ولا يتعدَّى على كبرياء الرُّخَامْ . . .

* *

أنا لا أُضَيِّعُ رأسي
أمامَ كؤوس الجَمَالْ .
ولا أترنَّحُ ذاتَ اليمينِ . . وذاتَ الشّمالْ . .
ولا أتورَّطُ في قول ما لا يُقَالْ . .
وأعرفُ كيفَ أقيسُ المسافَةَ
بين قصائد شعْري . . وصفو الوصَالْ . . .

* *

أنا لستُ أغرقُ، حينَ أُحبُّكِ،
في شبْرِ ماءْ . .
ولا أتفاصحُ. لا أتثاقَفُ.
لا أتجمَّلُ كالديكِ . . في لحَظَات اللقاءْ
ولا أتَمَسْكَنُ كالذئب بين الظباءْ . .
أنا لا أغشُّ بأوراق حُبِّي
ولا أستطيعُ الكتابةَ فوقَ الهَوَاءْ . .

* *

أنا لا أمثِّلُ دورَ العَشيقِ . .
وراء الستارَهْ . .
فحبُّك ليسَ مَجَازاً . .
وليسَ استعارَهْ . .
ولكنه حَجَرٌ . .
في أسَاسِ الحَضَارَهْ . .

* *

أنا لا أقُولُ بأنّي
سأُطْلعُ من ناظريْكِ القَمَرْ . .
ولا أدَّعي أنّني
سوف أُسْقطُ من شفَتَيْكِ الثَّمَرْ . .
فلا تَقْلَقي من سُلُوكي الغريبْ .
أنا شاعرٌ يتسلَّى بأخْذ الصُّوَرْ ! !

* *

أنا شاعرٌ لايزالُ على شفَتيْه
حليبُ الطُّفُولَهْ . .
فلا تسْمَعي ما يقولُ رجالُ القبيلة عنّي
فإنّي مُذْ كنتُ في بطن أُمّي
رَفَضْتُ قَرارَ القبيلَهْ ! !

أنا لا أُثَرْثِرُ . .
حينَ أكونَ بحالة عشْقٍ كثيرا . .
ولا أدَّعي أنني قد نقلتُ الجبالْ
لأجلك أنت . . وأنّي شقَقْتُ البُحُورا .
ولكنّني أكتفي بسكوتي
فتغدو أصابعُ كفّي طُيُورا . .
ويُصبحُ صمتي حريرًا . . .

* *

أنا قد أموتُ اشْتِهَاءً وعشْقاً
ولكنّني لا أُقايضُ شعْري
بطَرْفٍ كحيلٍ .
وخَصْرٍ نحيلٍ .
وقلب يُخبّىءُ لي الطيِّباتْ . .
فإنَّ القصيدةَ أجملُ سَيِّدة في حياتي
فهَلْ بعد نَشْرِ اعْتِرَافي
تُسامحُني السيِّداتْ؟؟ . . .

هل المرأةُ أصلُها قصيدهْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امرأهْ؟

هل المرأةُ أصلُها قصيدهْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امرأهْ؟
سؤالٌ كبيرٌ مازال يلاحقُني
منذُ أن احْتَرفْتُ حُبَّ المرأة . .
وحُبَّ الشِّعْر . .
سؤالٌ . . لا أُريدُ له جواباً
لأنَّ تفسيرَ الأشياء الجميلَه
يَقْتلُهَا . . .

* *

بعدما تَداخَلَت الحُدُودْ
بين أقاليم أُنوثَتكْ . .
وبين قَصَائدي . .
بينَ فَضَاء وَرقَة الكتابَهْ . .
بين ثَقَافة عالمك . .
وثَقَافة أصَابعي . .

بين كُحْلك البَدَويّ . .
والحبْر الذي أكتُبُ به شعْري .
بين اشْتعال القرنْفُلِ في قميص نومكْ . .
ومَشَاهد العشق على شَراشفي . .
أصبحتُ أتساءلْ :
هل المرأةُ أصلُها قصيدهْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امرأهْ؟

* *

بعدَما اختلطت الأحاسيسْ
بين رائحة جَسَدكْ . .
ورائحة كُتُبي . . .
بين استْدَارة السَّفَرْجَلْ . .
واستْدَارة كَلماتي . .
بين خيوط الذَّهَب على دَشْدَاشتَكْ . .
والمُنَمْنَمات المائيَّة على أوراقي . .
بين مُوسيقى البحرِ الطويلْ . .
وموسيقى قوامك الطويلْ . .
بين النُّصُوص التي تكتُبُها شَفَتاك . .
والنُّصُوص التي يكتبُها جُنُوني . .

أصبحتُ أتساءلْ:
هل المرأةُ أصلُها قصيدهْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امرأهْ؟

* *

بعدما تعانَقَت الجُسُورْ
بينكِ، وبين لُغتي.
وصار عَدَدُ الشَامَات على ظَهْرِكْ..
أكثرَ من عدد مُفْرَداتي..
وصارتْ خواتمُ الفيرُوز التي تلبسينَها
جزءاً من أبجديَّتي..
وفصيلةُ دمكْ..
جزءاً من فصيلة دمي.
مازلتُ أتساءلْ:
هل المرأةُ أصلُها قصيدهْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امرأهْ؟

* *

من الذي كان في البدْءْ
أنوثتُك، أم أُنُوثَةُ الكلمَاتْ؟
هَنْدَسَةُ صَدْرِكْ..

أم هَنْدسَةُ البنايات؟
موسيقى خَصْرِكْ . .
أم تَفَاعيلُ البحرِ الوافرْ؟
طَرَاوةُ يَدَيْكِ . .
أم صُوفُ الكشميرْ؟
أصابعُكِ . . أم فَتَافيتُ السُكَّرْ؟
خروجُكِ من صالة الحمَّامْ . . .
أم مهرجانُ الضوء والماءْ؟؟ . .

* *

من الذي كان في البدءْ؟
رائحتُكِ . .
أم رائحةُ الخُبَيْزةِ في بيتنا الدمشقيّ؟
صوتُكِ المائي . .
أم صوتُ النوافير في باحات غَرْنَاطَهْ؟
نَيْسَانُ عينيْكِ . .
أم نَيْسَانُ على مراوح الإسبانيَّاتْ؟
مدَاتُ العَتَابا . .
أم مَدَّاتُ (الفَلامنكُو)؟
مآذِنُ قُرْطُبَهْ . .

أم كبرياءُ عبد الرحمنِ الداخلْ؟ . . .

* *

لا أريدُ أن أدخُلَ في تاريخ الشعرْ . .
ولا أن أسمّيَك أميرةً للشُعَراءْ . .
فأنت مزروعةٌ في كل قصيدةٍ قالها شاعرْ
منذُ جميل بُثَيْنهْ . .
وطَرَفةَ بن العبدْ . .
وعُرْوَةَ بن الوردْ . .
وكشاجَمْ . .
وسحَيمْ . .
ورامبو . . ولوركا . . وبابلو نيرُودا . . .
وأنت مسؤولةٌ عن كُلِّ قصيدةٍ اقترَفْتُها . .
وكُلِّ امرأة عشقْتُها . .
وكُلِّ فضيحة أشعلتُها . .
منذُ (قالتْ ليَ السمراءُ) . . حتى اليومْ . .

* *

بعد خمسينَ عاماً .
لازلتُ أعملُ في ورْشَةِ الحُبِّ
بحَماسٍ عظيمْ . .

ولازلتُ أضحكُ من جميع الذين تخرَّجُوا
من جامعات الحُبِّ في بلادنا وهُمْ لم يُشاهدُوا وجه امْرأهْ . .
إلاّ على شاشة التلفزيونْ!

لندن أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥



أجملُ نُصُوصي

أنتِ النصُّ الأجملُ بينَ نُصُوصي .
أنتِ الجَسَدُ الراوي شعْراً . .
أنتِ الجَسَدُ الصائغُ أدَبَا .
أنتِ قَوَامٌ تاريخيٌّ .
يروي قصَصاً .
يعزفُ ناياً .
يكتُبُ كُتُبا .

* *

ماذا سوفَ أُضيفُ إلى أمجادكِ
يا سيّدتي؟
أنت امرأةٌ تُقْلقُ عصراً .
تُقْلقُ لغةً .
تُشعلُ في الكلماتِ اللَّهَبا .
تُطْلِعُ شَمْساً من عينَيْها .
تُطْلِعُ قَمْحاً من ذراعيها .
تُطْلِعُ من قلبها ذَهَبا .

أنت امرأةٌ ليسَتْ تُنْسَى .
أنتَ الفَرَحُ الآتي من أشياء الأُنْثَى .
أنتَ القمرُ الطالعُ من أعماق حقيبتها .
أنتَ الخَجَلُ النائمُ في طيَّات ضَفيرتها . .
أنتَ السَّمَكُ الراقصُ فوق مياه أصَابعها
أنتَ الأصْلُ . . وكلُّ ذُكُور العالمِ
ليسُوا فوقَ قيمصك إلاّ زَغَبَا ! ! .

* *

يا وَاحدَاتي :
إنّك وجهٌ إغريقيٌّ لا يتكرَّرْ .
حالةُ شعْرٍ لا تتكرَّرْ .
نَوْبَةُ صَرْعٍ لا تتكرَّرْ .
أنت ثقافة هذا العَصْر . .
وأنتَ الشِّعرُ ، وأنتَ النَّثْرُ .
وأنتَ البرُّ ، وأنت البحرُ .
وأنتَ فتافيتُ السُّكَّرْ .
أنت حضارةُ هذا الكون ،
وأنتَ الخيرُ ، وأنت العدلُ ،
وأنتَ هلالُ الحبّ الأخضرْ . . .

يا آتيةً من ألوان الطَّيْفِ . .
ومن رائحة الصيفِ
ومن عَبَقِ الزَّعْتَرْ .
يا مَنْ نأكُلُ من أشجار أُنُوثتها . .
يا من نقطُفُ من شَفَتَيْها . .
لوزاً . .
خوخاً . .
تيناً . .
عنباً . .

* *

شكراً، يا سيِّدتي، شُكْراً .
أنتِ ملأتِ يَدَيْنَا ذهباً
أنتِ ملأتِ دروبَ المنفى رُطَبًا .
لو لَم أبْصِرُ وطني الثاني في عينَيْكِ . .
لكانتْ هذي الدنيا كَذِبًا . . .

* *

يا زارعةً عُمْري شَجَراً .
يا مالئةً ليلي شُهُبًا .
لولا حبُّكِ . .

كان القلبُ جليداً . .

كان العَالَمُ خَشَبا ! ! . .

لندن أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥



حوارٌ مع سَفَرْجَلتينْ..

لجسْمك عطْرٌ خطيرُ النوايا . .
يُقيمُ بكلِّ الزوايا . .
ويلعبُ كالطفل تحتَ زُجاج المَرَايا . .
يعيشُ على سَطْحِ جلْدي شُهُوراً .
كما وردةٌ في كتابْ .
ويضحكُ مني ،
إذا ما طلبتُ إليه الذَّهَابْ . . .

* * *

حبٌّ.. بلا حُدُودْ..

يا سيِّدتي :
كُنت أهمَّ امرأةٍ في تاريخي
قبلَ رحيل العامْ .
أنت الآنَ . . أهمُّ امرأةٍ
بعدَ ولادة هذا العامْ . .
أنتِ امرأةٌ لا أحسبُها بالساعاتِ وبالأيَّام

أنت امرأةٌ . .
صُنِعَتْ من فاكهة الشِّعْر . .
ومن ذَهَب الأحلامْ . .
أنت امرأةٌ . . كانت تسكُنُ جَسَدي
قبلَ ملايين الأعوامْ .

* *

يا سَيِّدتي :
يا المغْزُولةُ من قُطْنٍ وغَمَامْ .
يا أمطاراً من ياقُوتٍ . .
يا أنهاراً من نَهَوَنْد . .
يا غابات رخَامْ . .
يا مَنْ تسبحُ كالأسْمَاك بماء القلب . .
وتسكُنُ في العيَنيْن كسِرْبِ حَمَامْ .
لن يتغيَّرَ شيءٌ في عاطفتي . .
في إحساسي . .
في وجداني . . في إيماني . .
فأنا سوفَ أظَلُّ على دين الإسلاَم . . .

* *

يا سَيِّدتي :

لا تَهْتمّي في إيقاع الوقت، وأسماء السَّنَواتْ.
أنت امرأةٌ تبقى امرأةً.. في كُلِّ الأَوقاتْ.
سوفَ أُحبُّك..
عند دُخُولِ القَرْنِ الواحد والعشرينَ..
وعند دُخُولِ القَرْنِ الخامسِ والعشرينَ..
وعند دُخُولِ القَرْنِ التاسعِ والعشرينَ..
وسوفَ أُحبُّكَ..
حين تجفُّ مياهُ البَحْرِ..
وتحترقُ الغَابَاتْ..

❊ ❊

يا سَيِّدتي:
أنت خُلاصَةُ كُلِّ الشِّعْرِ..
ووردةُ كُلِّ الحُرِيَّاتْ..
يكفي أن أتهجَّى اسْمَك..
حتى أُصبحَ مَلِكَ الشِّعْرِ..
وفرْعَونَ الكلماتْ..
يكفي أن تعْشَقَني امرأةٌ مثلُك..
حتّى أدخُلَ في كُتُبِ التاريخِ..
وتُرْفعَ من أجلي الرَّايَاتْ...

يا سَيِّدتي :
لا تضطربي مثلَ الطائرِ في زَمَن الأعيادْ .
لَنْ يتغيَّرْ شيءٌ منّي .
لَنْ يتوقّفَ نهرُ الحُبِّ عن الجَرَيانْ .
لَنْ يتوقَّفَ نَبْضُ القلب عن الخَفَقانْ .
لَنْ يتوقَّفَ حَجَلُ الشِّعْرِ عن الطَيَرانْ .
حينَ يكونُ الحبُّ كبيراً . .
والمحبُوبةُ قَمَراً . .
لَنْ يتحوّلَ هذا الحُبُّ
لحُزْمَة قَشٍّ تأكُلُها النيرانْ . . .

* *

يا سَيِّدتي :
ليسَ هنالكَ شيءٌ يملأُ عَيْني
لا الأضواءُ . .
ولا الزيناتُ . .
ولا أجْراسُ العيدِ . .
ولا شَجَرُ الميلاد .
لا يَعْني لي الشارعُ شيئاً .
لا تَعْني لي الحَانَةُ شيئاً .

لا يَعْنيني أيُّ كلامٍ
يُكْتَبُ فوق بطاقاتِ الأعيادْ . .

* *

يا سَيِّدتي :
لا أتذكَّرُ إلاّ صوتَكِ
حين تدقُّ نواقيسُ الآحادْ .
لا أتذكّرُ إلا عطرَكِ
حين أنامُ على وَرَقِ الأعشابْ .
لا أتذكَّرُ إلا وجْهَكِ . .
حين يُهَرْهِرُ فوق ثيابي الثلجُ . .
وأسمَعُ طَقْطَقَةَ الأحطابْ . .

* *

ما يُفْرِحُني يا سَيِّدتي
أن أتكوَّمَ كالعُصْفُور الخائفِ
بين بساتينِ الأهدابْ . . .

* *

ما يَبْهُرُني يا سَيِّدتي
أن تُهديني قَلَماً من أقلام الحبْرِ . .
أُعَانقُهُ . .

وأنامُ سعيداً كالأولادْ . .

* *

يا سَيِّدتي :

ما أسْعَدَني في مَنْفَاي

أُقَطِّرُ ماءَ الشعْرِ . .

وأشربُ من فيض الأفنان

ما أقْوَاني . .

حينَ أكونُ صديقاً

للحرّيّةِ . . والإنسانْ . . .

يا سَيِّدتي :

كم أتمنّى لو أحببتُكِ في عصر التَّنْويرِ . .

وفي عصر التصويرِ . .

وفي عصر الرُوَّادْ .

كم أتمنّى لو قابلتُكِ يوماً

في فلورَنْسَا .

أو قُرْطُبَة .

أو في الكُوفَةِ .

أو في حَلَبِ .

أو في بيتٍ من حَارَاتِ الشَّامْ . . .

يا سَيِّدتي :

كم أتمنّى لو سافرنا

نحو بلاد يحكُمُها الغيتَارْ .

حيثُ الحَبُّ بلا أسوارْ .

والكلمَاتُ بلا أسوارْ .

والأحلامُ بلا أسوارْ .

* *

لا تَنْشَغلي بالمستقبلِ ، يا سَيِّدتي

سوفَ يظلُّ حنيني أقوى مما كانَ . .

وأعنفَ مما كانْ . .

أنت امرأةٌ لا تتكرَّرُ . . في تاريخ الوردِ . .

وفي تاريخِ الشِّعْرِ . .

وفي ذاكرة الزنبق والريحانْ . . .

* *

يا سَيِّدةَ العَالَمِ :

لا يُشْغلُني إلا حُبُّكِ في آتي الأيَّامْ .

أنت امْرأتي الأُولى .

أُمّي الأُولى .

رَحِمي الأوَّلُ .

شَغَفي الأوّلُ.

شَبَقي الأوّلُ.

طوقُ نجاتي في زَمَن الطُّوفَانْ . . .

* *

إنْ أنت لمْ تأتي

فمن أينَ يأتي المَطَرْ؟

وإنْ أنت لم تحضَري .

فليس يهمُّ حضورُ البَشَرْ . .

إلى أينَ، سَيِّدتي، قد نقلت البَلَدْ؟

فلم تتركي حَجَراً واحداً .

ولم تتركي مطعماً واحداً .

ولم تتركي مسرحاً واحداً .

ولم تتركي متحفاً واحداً .

فكيف أواجهُ منفايَ وحدي؟

وأنتِ مليكةُ هذا البَلَدْ ! ! . . .

لندن أيار (مايو) ١٩٩٦

صانعُ النساء

زَاوَلْتُ ألفَ مهْنَة ومهْنَة
في زَمَنِ الشَّبَابْ.
أسَّسْتُ جمهوريةً للعشْقِ
لا تغربُ عنها الشمسُ،
فيها النَّخْلُ، والرُّمَّانُ، والأعنابْ.
وكان عندي دولةٌ كُبْرَى
من الشفاهِ، والعُيُونِ، والأهدابْ. . .

* *

عَملتُ خزَّافاً . .
ورسَّاماً . .
ونحَّاتاً . .
وأستاذاً لفنِّ الحُبِّ . .
حتى صار لي جيشٌ من الأتْبَاع والطُّلاَّبْ.
لكنّني . . رغمَ اتّساعِ سُلْطَتي .
ورغمَ كُلِّ شُهْرَتي .
ورغمَ مَجْد الأعْيُنِ السوداءِ . . والخضراءْ . .

أشعرُ أنّي رجُلٌ يكتُبُ فوق الماءْ . . .

* *

من نصْف قَرْن . . وأنا
أُطَرِّزُ الشِّعْرَ على قميص شَهْرَزَادْ .
وأفرُشُ السجَّادَ في موكبها
وأزْرَعُ الأشجارْ .
وأحملُ الشايَ إلى سريرها
وأحملُ الأزهارْ .
من نصْف قرن ، وأنا
أُحَرِّضُ الرمشَ على تاريخه . .
وأهدُمُ الأسوارْ .
من نصْف قرن ، وأنا أُقْنعُها
أن تكسرَ السيفَ الذي ينامُ في جوارها
ولا تعودَ مرةً أُخرى إلى فراش شَهْرَيارْ ! ! . .

* *

سيِّدتي :
سيّدةَ الكُلِّ التي يطلعُ من ضحْكَتها النهارْ .
من نصْف قرن ، وأنا أُقاومُ التَّتَارْ .
بالشعْرِ ، أو بالنَّثْرِ ،

أو بالحُبِّ، أو باللون،
أو بالغَزَل الجميلِ، أو بالطينِ والفَخَّارْ.
بدَمْعَةٍ تسيلُ من أصابعِ الغيتارْ.
فلا تَشُكّي أبداً بقُدْرَة القصيدَهْ
فربّما ينتصرُ الشِّعْرُ
على جحافلِ التَتَارْ. . .

* *

كَتَبْتُ تاريخَ الجميلات على جبيني
من يوم كانتْ أُمُّنا حَوَّاءْ.
كتبتُ عن فاطمةٍ.
كتبتُ عن عائشةٍ.
كتبتُ عن راويةٍ.
كتبتُ عن هدباءْ.
فعندما أدخُلُ أيَّ مجلسٍ
يُقالُ: (هذا صانعُ النساءْ). . .
فيا لها من تُهْمَةٍ جميلة
أن يصبحَ الإنسانُ من عائلة الظِّبَاءْ. . .

* *

أيتُّها القصيدةُ المائيَّهْ.
يا زَغَبَ الحَمَام في دفاتري
يا وردتي الجُوريَّهْ.
لا تَشْعُري بعُقْدَة الذَنْب معي
فإنَّ كُلَّ امرأة أُحبُّها
أمنَحُها الشَّرْعيَّهْ...

* *

غنَّيتُ للنساء..
حتى صرتُ من أنهار الحرية
وصارَ قلبي ملجأً
لطالبات العشْق، والحياة، والحُريَّهْ..
هذي بلادٌ ليس فيها امْرَأةٌ..
هذي بلادٌ ما لها قَضيَّهْ!!

* *

عَملتُ في النهار والليلِ
على خرائط الأُنُوثَهْ..
عَملتُ في الصيف وفي الشتاءْ
دخلتُ في كُلِّ التفاصيل الصغيرات التي أجهلُها..
دخلتُ تحتَ قشْرة الأشياءْ.

لم أنْسَ ثغراً واحداً . .

لم أنْسَ خَصْراً واحداً . .

لم أنْسَ عطراً همجيّاً كنتُ قد شَمَمْتُهُ . .

لم أنْسَ رمشًا شاهراً سلاحَهُ

دَمَّرني عشْقاً . . كما دمَّرْتُهُ . . .

* *

أُريدُ أن أهربَ

من بحر الإشَاعَاتِ الذي أغْرقَني .

أُريدُ أن أهربَ

من جميع ألقابي وأسمائي

فإنّي ضِقْتُ بالألقابِ والأسْمَاءْ . . .

* *

أُريدُ يا سيِّدتي ، أن تعرفي

بأنَّني لم أصْنَعِ النساءِ في مُخْتَبَري

لكنّني . .

أنا الذي خرَجْتُ من مُخْتَبَرِ النِّسَاءْ . . .

لندن ربيع عام ١٩٩٤

خمسون عاما في مديح النساء

ومن عادتي . . .

أن أكون سفيراً لكل النساء

وشاعر كل الفصول

وأكتب فيهن شعراً ونثراً

فتكبر أحداقهن قليلا

وتصغر أعمارهن قليلا

وترقص عصافيرهن ابتهاجا

كزهر الحقول . . .

* *

أقولُ كلاماً كثيرا .

أقولُ كلاماً خطيرا .

فإيَّاكِ أن تَقْبَضي ما أقُولْ .

فإنّي - بحُكْمِ احْتِرَافي -

أُحَوِّلُ أيَّةَ أُنثى غزَالا . .

وأصنَعُ من كلِّ خصرٍ هلاَلا .

وأخلُقُ من أيِّ دَبُّوسِ شَعْرٍ . . جمالا

فلا تشربي من عبير حُروفي

فبعضُ القصائد يُسْكِرُ مثلَ الكُحُولْ . .

* *

ومِنْ عادتي . .

أن أحرِّضَ ذاكرةَ السيِّداتْ . .

وأقرعَ من أجْلهنَّ الطُبُولْ .

فينسَيْنَ أسماءهُنَّ . .

ويَقْتُلْنَ سجانهنَّ . .

ويكسرْنَ أقفاصَهُنَّ . .

ويَهرُبْنَ من لعنة المُدُن المالحَهْ

إلى مُدُن الماءِ والياسَمينْ . . .

**

ومن عادتي

أن أقدِّمَ للعاشقاتْ

مَراوحَ ريشٍ . .

وأمشاطَ عاجٍ . .

وأكياسَ غَزْل البنَاتْ . .

ومن عادتي أن أُقدِّمَ للقارئاتْ

- بحُكْم احترافي -

حقائبَ ملأى بأحلى الصُّوَرْ
ونَهْراً طويلاً من الأُغْنيَاتْ
وعَيِّنَةً من تُرَاب القَمَرْ.
فلا تسقُطي تحتَ سيف التشابيه والتَّوْريَاتْ.
فلستُ سوى نَحْلة تُفْرِزُ المُفْرَداتْ. . .

* *

ومن عادتي
أن أُلَخْبطَ تاريخَ كلِّ النساءْ
بأُغْنيَة واحدَهْ. .
فلا تَقَعي تحت سحر الكلام المُنمَّقِ
والنَغْمة الشاردَهْ. .
ولا تدخُلي في مَزَاد القصائد يوماً
ولا تُصبحي فرَساً في زحَامِ الخُيُولْ. .

* *

ومن عادتي
أن أُفَجِّرَ نَفْسي
إذا مرَّ أيُّ قَوَامٍ جميلٍ أَمَامي
وأن لا أميِّزَ بين عُرُوقي
وبين عُرُوقِ الرّخَام. .

ومن عادتي - حين أكتُبُ -
أن لا أميّزَ بين دمائي
وبين دماء الكَلاَمِ . .

* *

ومن عادتي
أن أُحرِّكَ نَهْرَ الأُنوثة حيثُ أشاءْ
وأوقفَ مجراهُ، حين أشاءْ
فلا تعجبي من غرَابة طَقْسي
ففي ذَرْوة الصيف
يُولَدُ عندي الشتاءْ . . .

* *

ومن عادتي
أن أُخَلْخلَ كلَّ النُصُوصِ القديمَهْ
وأقتُلَ كلَّ مُلُوك الغَزَلْ
وأُوقفَ عادةَ أكْلِ النساءْ
وصَيْدِ الحَجَلْ . .

* *

ومن عادتي
أن أدينَ بلاهَةَ مَجْنُونِ ليلى

وصاحبَهُ في الغباء، جميلَ بُثَيْنَهْ . .
وآخُذَ ثاراتِ هند . . ودَعْد، ، ولُبْنَى . .
وكُلِّ النساء اللواتي
عَشِقْنَ . . ومُتْنَ . .
ولم يتطهرن بصوت الرُّجُلْ . . .

**

أنا لا أُجيدُ التوحد في الحُبِّ . .
لستُ أُجيدُ مُجَاوَرَةَ الأصفياء . .
ولستُ أُجيدُ رثاءَ العصافير . .
حين تطيرُ بعيداً
ولستُ أجيدُ البُكَاءْ . .
أنا شاعرٌ . .
ويرفُضُ العَيْشَ في كُتُب الأوّلينْ .
وفي كُتُب الآخرينْ .
يورفُضُ أن يحنُطَ الحُبَّ بالكيميَاءْ . . .

**

ومن عادتي
أن أُقدِّمَ للسيِّدات ولائي
وأحملَهُنَّ على كتفيَّ

وأزْرَعَهُنَّ نُجُوماً عند المساء .
لَيُسْعدُني دائماً أن أكونَ
أثَرْتُ غُرورَ الظِّبَاءْ . .
وأنّي أعَدْتُ إلى كلِّ أُنثى
قليلاً من الكبرياءْ . . .

* *

ومن عادتي
أن أُمارسَ عشْقيَ حتى الجُنُونْ .
وأقترفَ الشِّعْرَ حتى الجُنُونْ .
فإنَّ الكتابةَ عندي امرأهْ . .
وإنَّ القصيدةَ عندي امرأهْ . .
فلا تدْهشي أن تركتُ كتابي
لأقرأ ما في كتاب العُيُونْ .
فإمَّا أكونُ شبيهاً بشعريَ
أو لا أكُونْ . . .

* *

أنا شاعرٌ . .
لا يُجيدُ التسكُّعَ قربَ خِيَام النساءْ . .
ولا أتَذكَّرُ أنّي

فَرَضْتُ على امرأة جزْيةً . .
وساومتُ ثغراً على قُبْلةٍ . .
ولا أتذكَّرُ أنّي
ذَبَحتُ على مَضْجَعِ الحُبِّ إحدى الظِّبَاءْ . .

* *

أنا لستُ أُشبهُ غيري من الشُّعَرَاءْ
ولستُ أجيدُ الوُقُوفَ على بَابِ أيِّ خليفَهْ . .
لأغْسلَ لحْيَتهُ بالرَّحيقْ . .
وأدْهَنَ أقدامَهُ بالعَسَلْ . .
وأجعلَ قامتَهُ كالغَزَالْ . .
وأجعلَ طَلْعَتهُ كالقَمَرْ . .
أنا لا أُقارنُ مَجْدي . .
بمجد السلاطين والخُلَفَاءْ
فهُمْ يحكُمُونَ بحدِّ السُّيُوفْ
وإنّي حكَمْتُ بشعْرِ الغزَلْ ! !

* *

أنا لستُ أُشْبهُ إلا أنا . . .
فلستُ الفرزدقَ،
لستُ جريراً،

ولستُ الشريفَ الرضيَّ،

ولستُ مُهرّجَ أيِّ نظَامْ

ولستُ جواداً مُطيعاً يُباعُ بسوق عُكاظْ . .

فلي حافرٌ فوق أوراق شعْري

ولي حافرٌ في جبين الضياء . .

وماذا من الشُّعَراء سيَبْقى؟

إذا ما تَخلَّوا عن الكبرياءْ؟

* *

أنا ما تورَّطْتُ يوماً

بمَدْح ذُكُور القبيلَهْ . .

ولستُ أدينُ لهُمْ بالوَلاَءْ .

ولكنّني شاعرٌ

قد تفرَّغَ خمسينَ عاماً

لَمدْح النسَاءْ ! ! . . .

لندن آذار (مارس) ١٩٩٤

حبيبتـــي

حـــبـــيـــبـــتـي . إنْ يســـأولوكِ عنِّي
يـومًـــا ، فـــلا تفكِّري كـــثـــيـــرًا
قـــولي لـهـمْ بـكـلِّ كـــبـــريـاء :
«يُحـــبُّني . . يُحـــبُّني كـــثـــيـــرًا . .»
صـــغـــيـــرتي . إنْ عـــاتبـــوكِ يومًـــا
كـــيـف قـــصـــصـت شـــعْـــرك الحـــريرا
وكـــيـــفَ حـــطَّـمـت إنـاءَ طـيـب
من بـعـــدمـــا ربَّيْـــتِـــه شُـــهُـــوراً
وكـــانَ مـــثـلَ الـصـــيـفِ في بـلادي
يـوزِّعُ الـظـلالَ والـعـــبـــيـــرا
قـــولي لهُمْ : «أنا قـــصـــصـتُ شـــعـــري
لأنَّ من أحـــبُّـــهُ . . يحـــبُّـــهُ قـــصـــيـــرا . .»
أمـــيـــرتي . إذا مـــعًـــا رقـــصـنا
عـلـى الـشـــمـــوع لحـنَـنَا الأثـيـــرا
وحـــوَّلَ الـبـــيـــانُ في ثـوان
وجـــودنَـا أشـــعـــةً ونـورا

وظنُّكِ الجميعُ في ذراعي
فراشةٌ تهمُّ أنْ تطيرا
فواصلي رقصَكِ في هدوءٍ
واتَّخذي من أضلعي سريراً
وتمتمي بكُلِّ كبرياءٍ
«يُحبُّني.. يُحبُّني كثيرا..»

*

حبيبتي. إن أخبروكِ أنِّي
لا أملكُ العبيدَ والقُصورا
وليسَ في يديَّ عِقْدُ ماسٍ
به أحيطُ جيدك الصغيرا
قولي لهُمْ بكلِّ عنفوانٍ
يا حبِّيَ الأوَّلَ والأخيرا
قولي لُهمْ: كفاني
بأنَّهُ يُحبُّني... كثيراً..

*

حبيبتي.. يا ألفَ يا حبيبتي
حُبِّي لعينيكِ أنا كبيرٌ
وسوفَ يبقى دائمًا كبيرا..

شـــؤونٌ صَغيـــرة

شؤونٌ صغيرَهْ
تمرُّ بها أنتَ . . دونَ التفاتِ
تُساوي لديَّ حياتي
جميعَ حياتي . .
حوادثُ . . قد لا تثيرُ اهتمامَكْ
أُعَمِّرُ منها قصورْ
وأحيا عليها شُهورْ
وأغزلُ منها حِكايا كثيرَهْ
وألفَ سماء . .
وألفَ جزيرَهْ . .
شؤونٌ . .
شؤؤنُكَ تلكَ الصغيرَهْ
فحينَ تُدخِّنُ أجثو أمامَكْ
كقطّتكَ الطّيِّبَهْ
وكُلّي أمانْ
ألاحقُ مزهوّةً مُعجَبَهْ

خيوطَ الدخانْ

توزعُها في زوايا المكانْ

دوائرْ . . دوائرْ

وترحلُ في آخر الليلِ عنِّي

كنجمٍ، كطيبٍ مهاجرْ

وتتركُني يا صديقَ حياتي

لرائحة التبغ والذكرياتِ

وأبقى أنا . .

في صقيع انفرادي

وزادي أنا . . كُلُّ زادي

حطامُ السجائرْ

وصحنٌ . . يضمُّ رمادًا

يضمُّ رمادي . .

وحينَ أكونُ مريضَهْ

وتحملُ أزهاركَ الغاليَهْ

صديقي . . إليَّ

وتجعلُ بين يديكَ يديَّ

يعودُ ليَ اللونُ والعافيَهْ

وتلتصقُ الشمسُ في وجنتيّ

وأبكي . . وأبكي . . بغير إرادَهْ
وأنتَ تردُّ غطائي عليّ
وتجعلُ رأسيَ فوق الوسادَهْ . .
تمنَّيْتُ كُلَّ التمنِّي
صديقي . . لو أنِّي
أظلُّ . . أظلُّ عليلَهْ
لتسألَ عنِّي
لتحملَ لي كلَّ يومٍ
ورودًا جميلَهْ . . .
وإنْ رنَّ في بيتنا الهاتفُ
إليه أطيرْ
أنا . . يا صديقي الأثيرْ
بفرحة طفلٍ صغير
بشوقَ صُنُونُوَّة شاردَهْ
وأحتضنُ الآلةَ الجامدَهْ
وأعصرُ أسلاكَها الباردَهْ
وأنتظرُ الصوتَ . .
صوتكَ يهمي عليّ
دفيئًا . . مليئًا . . قويّ

كصوت ارتطام النجومِ
كصوتِ سقوط الْحُليّ
وأبكي . . وأبكي . .
لأنَّكَ فكَّرتَ فيّ
لأنَّكَ من شُرُفات الغيوبِ
هتفتَ إليّ . .
ويومَ أجيءُ إليكْ
لكي أستعيرَ كتابْ
لأزعمَ أنِّي أتيتُ لكي أستعيرَ كتابْ
تمدُّ أصابعَكَ الْمُتْعَبَهْ
إلى المكتَبَهْ
وأبقى أنا . . في ضباب الضبابْ
كأنِّي سؤالٌ بغير جوابْ . .
أُحدِّقُ فيكَ وفي المكتَبهْ
كَمَا تفعلُ القطَّةُ الطيِّبهْ
تُراكَ اكتشفتَ؟
تُراكَ عرفتَ؟
بأنِّيَ جئتُ لغير الكتابْ
وأنِّيَ لستُ سوى كاذبَهْ

. . وأمضي سريعًا إلى مخدعي
أضمُّ الكتابَ إلى أضلعي
كأنِّي حملتُ الوجودَ معي
وأُشعلُ ضوئي . . وأُسدلُ حولي السُّتُورْ
وأنبشُ بينَ السُّطُورِ . . وخلفَ السُّطُورْ
وأعدو وراءَ الفواصِلِ . . أعدو
وراءَ نقاطٍ تدورْ
ورأسي يدورْ . .
كأنِّي عصفورةٌ جائعهْ
تفتِّشُ عن فَضلاتِ البذورْ
لعلَّكَ . . يا . . صديقي الأثيرْ
تركتَ بإحدى الزوايا . .
عبارةَ حُبٍ قصيرَهْ . .
جُنَيْنَةَ شوقٍ صغيرَهْ
لعلَّكَ بين الصحائفِ خبَّأتَ شيًّا
سلامًا صغيرًا . . يعيدُ السلامَ إليَّا . .

*

وحينَ نكونُ معًا في الطريقْ
وتأخُذُ - من غيرِ قصدٍ - ذراعي

أُحسُّ أنا يا صديقْ . .
بشيءٍ عميقْ
بشيءٍ يُشابهُ طعمَ الحريقْ
على مرْفَقي . .
وأرفعُ كفَّي نحو السماءْ
لتجعَلَ دربي بغيرِ انتهاءْ
وأبكي . . وأبكي بغيْرِ انقطاعِ
لكيْ يستمرَّ ضيَاعي
وحينَ أعودُ مساءً إلى غُرفَتي
وأنزعُ عن كتفيَّ الرداءْ
أُحسُّ – وما أنتَ في غرفتي
بأنَّ يديْكْ
تلفَّان في رحمة مرْفَقي
وأبقى لأعبدَ يا مُرْهقي
مكانَ أصابعكَ الدافئات
على كُمِّ فستانيَ الأزرقِ . .
وأبكي . . وأبكي . . بغير انقطاعِ
كأنَّ ذراعيَ ليستْ ذراعي . .

تلفون

صوتُك القادمُ من خلف الغُيُومِ
سَكَبَ النارَ على الجرحِ القديمِ
مَدَّ لي أرجوحةً من نَغَمٍ
ورماني نجمةً بينَ النجومِ
مَنْ ترى يطلُبُني؟ مخطئةٌ!
فاتركيني لدُخاني وهُمُومي
أنا جُرحٌ مُطبقٌ أجفانَهُ
فلماذا جئتِ تُحيينَ هشيمي؟
رَقَمي . من أينَ قد جئتِ به
تحت عصفِ الريح في الليل البهيمِ
بعد أن عاشَ غريبًا مُهْمَلاً
بينَ أوراقكِ كالطفلِ اليتيمِ
كيفَ . . من بعد شهورٍ خمسةٍ
عُدْتِ يا صاحبةَ الصوتِ الرخيمِ
حُبُّنا . . كانَ عظيمًا مرةً
وطوينا قصَّةَ الْحُبِّ العظيمِ

أتقولينَ : (أنا آسفةٌ)
بعدما ألقيت حُبِّي في الجحيمِ
لم أعُدْ أُخدعُ يا سيِّدتي
بالحديث الْحُلوِ . . والصوت النَّغومِ
صوتُك العائدُ . . لا أعرفهُ
كانَ يومًا جنَّتي . . كانَ نعيمي

*

حُلوتي! بالرغم مما قلتُهُ
فأنا - بعدُ - على حُبِّي القديمِ
داعبي كلَّ مساءٍ رقَمي
واصدحي مثلَ عصافير الكُرُومِ
كلْمةٌ منك . . ولو كاذبةٌ
عَمَّرتْ لي منزلاً فوقَ النجومِ



طوق الياسَمِين

شُكرًا . . لطوق الياسمينْ
وضحكتُ لي . . وظننتُ أنكِ تعرفينْ
معنى سوارِ الياسمينْ
يأتي به رجلٌ إليكِ . .
ظننتُ أنكِ تدركينْ . .

*

وجلستِ في ركنٍ ركينْ
تتسرَّحينْ
وتنقِّطين العطرَ من قارورةٍ وتدمدمينْ
لحنًا فرنسيَّ الرنينْ
لحنًا كأيَّامي حزينْ
قَدَماك في الْخُفِّ المقصَّبَ
جدولان من الحنينْ
وقصدتِ دولابَ الملابسِ
تقلعينَ . . وترتدينْ
وطلبتِ أن أختار ماذا تلبسينْ

أفَلي أنا تتجمَّلينْ؟
ووقفتُ . . في دوَّامة الألوان ملتهبَ الجبينْ
الأسودُ المكشوفُ من كتفيهِ . .
هل تتردَّدينْ؟
لكنه لونٌ حزينْ
لونٌ كأيامي حزينْ
ولبسته
وربطتَ طوقَ الياسمينْ
وظننتُ أنكِ تعرفينْ
معنى سوار الياسمينْ
يأتي به رجلٌ إليكِ . .
ظننتُ أنكِ تدركينْ . .
هذا المساءْ . .
بحانة صغرى رأيتُكِ ترقصينْ
تتكسَّرينَ على زنود المعجبينْ
تتكسَّرينْ . .
وتدمدمينْ . .
في أُذن فارسكِ الأمينْ
لحنًا فرنسيَّ الرنينْ

لحنًا كأيامي حزينْ

*

وبدأتُ أكتشفُ اليقينْ

وعرفتُ أنكِ للسوى تتجملينْ

ولهُ ترشينَ العطورَ . .

وتقلعينَ . .

وترتدين . .

ولمحتُ طوقَ الياسمينْ

في الأرضِ . . مكتومَ الأنينْ

كالجثة البيضاء . .

تدفعهُ جموعُ الراقصينْ

ويهمُّ فارسكِ الجميلُ بأخذه . .

فتمانعينْ . .

وتقهقهينْ . .

«لا شيءَ يستدعي انحناءكَ . .

ذاكَ طوقُ الياسمينْ . . »

لن تُطفِئ مَجدِي

ثَرثرْتِ جداً .. فاتركيني
شيءٌ يمزِّق لي جبيني
أنا في الجحيم .. وأنتِ لا
تدرينَ ماذا يعتريني
لنْ تفهمي معنى العذاب
بريشتي .. لنْ تفهميني ..
عمياءُ أنتِ .. ألمْ ترىْ
قلبي تجمَّع في عيوني؟
لأخَافُ تأكُلكِ الحروفُ
بجبهتي .. فتجنَّبيني
ماتَ الحنينُ، أتسمعينَ؟
ومُتِّ أنتِ مع الحنينِ
لا تسأليني كيف قصَّتُنا
انتهتْ، لا تسأليني
هيَ قصَّةُ الأعصاب، والأفيون
والدم، والجنون ..

مــــرَّتْ .. فـــلا تـتـــذكَّـــري
وجــــهي، ولا تـتـــذكَّـــريني
إن تُـنـكـريـهــا فـــاقـــرئي
تـاريخَ سـخـفك في غـضـوني

*

أمــــريضــــةَ الأفـكـار يـأبـي
الـليـلُ أن تـسـتـضـعـفـيني
لنْ تُطفئي مـجدي، على قـدحٍ .. وضَـمَّـةِ ياسـمين
إنْ كـــان حـــبُّـكِ أن أعـــيشَ
عـلـى هُـرائـكِ .. فـــاكـــرهـيـني
حـــاولتِ حـــرقي.. فـــاحــتــرقتِ
بـنـار نـفـسـكِ .. فـــاعـــذريـني
لا تـطـلـبـي دمــــعـي .. أنـا
رجـلٌ يعــيـش بـلا جـــفـــون
مـــزَّقتِ أجـــملَ مـــا كـــتـبتُ
وغــــرتِ حـــتـى مـن ظـنـوني
وكـــسـرتِ لـوحـــاتي.. وأضـــرمتِ
الحــــرائـقَ فـي سُـكُـونـي
وكـــرهـتِـني .. وكــــرهـتِ فـنّـاً

كنتُ أُطعمُهُ عيوني
ورأيتِني أهبُ النجومَ
محبَّتي فوقفتِ دوني
حاولتُ أن أعطيكِ من
نفسي، ومن نور اليقين
فسخرتِ من جُهدي .. ومن
ضَرْبات مطرقتي الحنون
وبقيتِ، رغم أناملي
طيناً تراكمَ فوق طين
لا كنتِ شيئاً في حساب
الذكريات ولن تكوني

*

شفتي سأبترُها .. ولنْ
أمشي إليكِ على جبيني



دمُوع شهْريَار

ما قيمةُ الحوارِ؟
ما قيمةُ الحوار؟
ما دمت، يا صديقتي، قانعةً
بأنني وريثُ شهرَيارِ . .
أذبحُ، كالدجاج، كلَّ ليلةٍ
ألفًا من الجواري . .
أُدحرجُ النهودَ كالثمار . .
أذيبُ في الأحماض . . كلَّ امرأةٍ
تنامُ في جواري . .
لاَ أحدٌ يفهمني . .
لا أحدٌ يفهمُ ما مأساةُ شهرَيارِ
حين يصيرُ الجنْسُ في حياتنا
نوعًا من الفرار . .
مخدِّرًا نشمُّهُ في الليل والنهارِ . .
ضريبةً ندفعُها
بغير ما اختيار

حن يصيرُ صدرك المعجونُ بالبهارِ
مقصلتي . . وصخرةَ انتحاري . .

*

صديقتي ،
ملِلتُ من تجارة الجواري
مللتُ من مراكبي
مللتُ من بحاري . .
لو تعرفينَ مرةً . .
بشاعةَ الإحساسِ بالدُّوارِ . .
حين يعودُ المرءُ من حريمِهِ
منكمشًا كدودة المحارِ . .
وتافهًا كذرَّة الغبارِ . .
حين الشفاهُ كلُّها . .
تصير من وفرتها
كالشوك في البراري

*

لن تفهميني أبدًا . .
لَنْ تفهمي أحزانَ شهريارِ . .
فحين ألفُ امرأةٍ . .

ينمنَ في جواري . .

أُحسُّ أنْ لا أحدٌ . .

ينامُ في جواري . .



قطّتي الشّاميّة

أضناني البَرْدُ . . فكوِّمْني
داخلَ قبضتكَ السحريَّه
خبِّئْني فيها أيّامًا . .
احبسْني فيها أعوامًا . .
احبسْني كالطير المرسُومِ . .
على مروحة صينيَّهْ . .
فالحبسُ لذيذٌ ومثيرٌ . .
داخلَ قبضتكَ السحرَّيهْ . .
لا تفتح كفَّكَ . . واتركْني . .
أرعى كالأرنبِ . .
في غابات يديْكِ الوحشيَّهْ
لا تغضبْ منِّي . . لا تغضبْ
فأنا قطّتُكَ الشاميَّهْ
هل أحدٌ . .
يغضبُ من قطّتِه الشاميَّهْ؟

*

أتركْني . . ألْعَبُ كالسنجاب . .
على الأدراجِ العاجيَّهْ . .
وفُتَاتُ السكَّرِ . . ألحسُهُ
داخلَ قبضَتكَ السحريَّهْ
أُمنيتي تلكَ . . وما عندي
أغلى من تلكَ الأُمنيَّهْ . .
لو أملكُ زاويةً بيديْكَ . .
لكنتُ ملكتُ البَشَريَّهْ . .
خَبِّئْني . . في خُلْجَان يديْكَ . .
فإنَّ الريحَ شماليَّهْ
خبِّئني . . في أصداف البَحْرِ
وفي الأعشاب المائيَّهْ
خبِّئني . . في يَدكَ اليُمنَى . .
خبِّئني . . في يدكَ اليُسْرَى
لَنْ أطلُبَ منكَ الْحُريَّهْ . .
فيداكَ . . هُمَا المنفى . . وهُمَا . .
أرْوَعُ أشكال الْحُرِيَّهْ
أنتَ السجَّانُ . . وأنتَ السِّجنُ
وأنتَ قيودي الذَّهَبيَّهْ

قيِّدْني . . يا مَلكي الشرقيّ . .
فإنّي امرأةٌ شرقيَّهْ . .
تحلُمُ بالخيل . . وبالفرسان
وبالكلمَات الشعريَّهْ
سافرْ في جسدي كالأفيون
وكالرائحة المنسيَّهْ
سافرْ في شعري
كطعنة رمحٍ وثنيَّهْ . .
سافرْ . . يا ملكي حيث تريدُ . .
فكلُّ شُطُوطي رَمْليَّهْ . .
سافرْ . . فالريحُ مواتيةٌ . .
وأنا . . راضيةٌ مرضيَّهْ . .
ضَيِّعْني . .
في أحراج يَدَيْكَ
سئمتُ . . الْمَدَنيَّهْ
حيثُ الأشجار بلا عُمْرٍ . .
حيثُ الأزمانُ خرافيَّهْ . .
أرجعْني . . صافيةً كالنار . .
وكالزلزالِ بدائيَّة . .

حَرِّرْني . . من عُقَدي الأُولى . .
مزِّقْ . . أقنعتي الشَّمعيَّهْ . .
وادْفُنِّي . . تحتَ رماد يديْكَ
أدْفُنِّي . .
حيثُ يشاءُ الْحبُّ . .
فأنا قطتك الشاميَّه



هَامْلِتٌ شاعِراً

أنْ تكوني امرأةً . . أو لا تكوني . .
تلكَ . . تلكَ الْمسألَهْ
أنْ تكوني امرأتي المفضَّلهْ
قطَّتي التركيَّة المدلَّلهْ . .
أنْ تكوني الشمسَ . . يا شمسَ عيُوني
ويداً طيِّبةً فوقَ جبيني
أنْ تكوني في حياتي الْمقبلَهْ
نجمةً . . أو وردةً . . أو سُنْبُلَهْ
تلكَ . . تلكَ الْمُشكلَهْ
أنْ تكوني كلَّ شيءْ . .
أو تُضيعي كلَّ شيءْ . .
إنَّ طبْعي عندما أهوى
كطبْع البَرْبَريّ . .
أنْ تكُوني . .
كلَّ ما يحملُهُ نوَّارُ من عُشْبٍ نديّ
أنْ تكوني . . دفتري الأزرقَ . .

أوراقي . . مدادي الذَّهبيّ . .
أن تكوني . . كلمةً
تبحثُ عن عُنوانها في شَفَتيّ
طفلةً تكبرُ ما بين يديّ
آه يا حوريةً أرسَلهَا البحرُ إليّ . .
آه . . يا رُمْحًا بأعماقي
ويا جُرْحي الطريّ . .
آه يا ناري . . وأمطاري . .
ويا قَرْعَ الطُّبُولِ الْهمَجيّ
افْهَميني . .
أتمنَّى مُخْلصًا أن تَفْهَميني
ربُّما . . أخطأتُ في شرحِ ظُنوني
ربُّما سرتُ إلى حُبِّك معصوبَ العيون
ونَسَفْتُ الجسرَ ما بين اتِّزاني وجُنوني
أنا لا يمكنُ أن أعشقَ إلاَّ بجنُوني
فاقْبَليني هكذا . . أو فارْفُضيني . .

❋

انْصتي لي . .
أتمنَّى مُخْلصًا أنْ تُنصتي لي . .

ما هناكَ امرأةٌ دونَ بديلِ
فاتنٌ وجهُكِ . . لكنْ في الهوى
ليس تكفي فتنةُ الوجه الجميلِ
افْعَلي ما شئتِ . . لكنْ حاذري . .
حاذري أنْ تقتلي فيَّ فُضُولي . .
تَعبتْ كفَّايَ . . يا سيِّدتي
وأنا أطرقُ بابَ المُسْتَحيلِ . .
فاعشقي كالناس . . أو لا تعشقي
إنَّني أرفُضُ أنْصافَ الحُلُولِ



اختَـــارِي

إنِّي خيَّرتُكِ . . فاختاري
ما بينَ الموت على صدري
أو فوقَ دفاتر أشعاري
اختاري الحبَّ . . أو اللاحبَّ
فجبنٌ أن لا تختاري . .
لا توجدُ منْطقةٌ وسطى
ما بينَ الْجنة والنارِ . .
ارمي أوراقَكِ كاملةً
وسأرضى عن أيِّ قرارِ
قُولي . . انْفَعِلي . . انْفَجِري
لا تقفي مثلَ الْمسمارِ
لا يمكنُ أن أبقى أبدا
كالقشَّة تحت الأمطارِ
اختاري قدَرًا بين اثنينِ
وما أعنَفَها أقداري . .

❊

مُرهَقةٌ نت . . وخائفةٌ
وطويلٌ جدًا . . مشواري
غوصي في البحر . . أو ابتعدي
لا بحرٌ . . من غير دُوَار . .
الحبُّ . . مواجهةٌ كبرى
إبحارٌ ضدَّ التيَّار . .
صَلْبٌ ، وعَذَابٌ ، ودُمُوعٌ
ورحيلٌ بينَ الأقمارِ . .

*

يقتُلُني جُبْنُكِ . . يا امرأةً
تتسلَّى من خلف ستار
إنِّي لا أُؤمن في حُبٍ
لا يحملُ نزَقَ الثُّوارِ . .
لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ
لا يضربُ مثلَ الإعصارِ
آه . . لو حُبُّكِ يبلَعُني
يقلَعُني مثلَ الإعصارِ . .

*

إنِّي خيَّرتُكِ . . فاختَاري

ما بين الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاتر أشْعَاري
لا توجدُ منطَقةٌ وسطى
ما بين الجنَّةِ والنارِ . .



قارئة الفنجان

جَلَستْ . . والخوفُ بعينيْها
تتأمّلُ فنجاني المقلوبْ
قالتْ: يا وَلَدي . لا تحزنْ
فالحبُّ عليكَ هو المكتوبْ
يا وَلَدي . قد ماتَ شهيداً . .
مَنْ ماتَ على دين الْمحبوبْ . .
فنجانُكَ . . دنيا مُرْعبة . .
وحياتُكَ أسفارٌ . . وحُروبْ
ستُحبُّ كثيرًا وكثيرًا
وتموتُ كثيرًا وكثيرًا
وستعشقُ كلَّ نساء الأرض . .
وترجعُ . . كالملكِ المغلوبْ . .

❊

بحياتكَ، يا وَلَدي، امرأةٌ
عيناها . . سبُحانَ المعبودْ
فَمُها . . مَرْسُومٌ كالعُنقُودْ

ضحكتُها . . موسيقى وورُودْ
لكنَّ سماءَكَ مُمْطِرةٌ
وطريقُكَ . . مسدودٌ . . مسدودْ . .
فحبيبةُ قلبك . . يا ولَدي
نائمةٌ . . في قصرٍ مرصودْ
والقصرُ كبيرٌ . . يا ولَدي
وكلابٌ تحرسُه وجنُودْ
وأميرةُ قلبكَ . . نائمةٌ
مَنْ يدخلُ حجرتَها مفقودْ . .
مَنْ يطلبُ يَدَها . . مَنْ يدنو . .
منْ سُورِ حديقتها مفقودْ
مَنْ حاول فَكَّ ضفائرها
يا ولَدي . . مفقودٌ . . مفقودْ . .

*

بصَّرتُ . . ونجَّمتُ كثيراً . .
لكنِّي . . لم أقرأ أبدًا . .
فنجانًا يُشْبهُ فنجانَكْ
لم أعرفْ أبدًا . . يا ولَدي
أحزانًا . . تُشْبهُ أحزانَكْ . .

مقدُورُك أنْ تمشي أبدًا
في الحبِّ . . على حدِّ الْخَنَجر . .
وظلَّ وحيدًا كالأصدافْ
وتظلَّ حزينًا كالصفصافْ
مقدُورُكَ أن تمضي أبدًا
في بحر الْحُبِّ بغير قلوعْ
وتُحبَّ ملايينَ الْمرَّات . .
وترجعَ . . كالْملكِ الْمخلوعْ . .



القصيــــدَة المُتوحّشة

أحِبّيني . . بلا عُقَدِ
وضِيعي في خُطوطِ يدي
أحِبّيني . . لأُسبوعٍ . . لأيَّام . . لساعاتٍ . .
فلستُ أنا الذي يهتمُّ بالأبَدِ . .
أنا تشرينُ . . شهرُ الريحُ،
والأمطارِ . . والبَرَدِ . .
أنا تشرينُ . . فانْسَحقي . .
كصاعقة على جَسَدي . .
أحِبّيني . .
بكلِّ توحُّشِ التَترِ . .
بكلِّ حرارة الأدغالِ
كلِّ شَراسَةِ الْمَطَرِ
ولا تُبْقي ولا تَذَري . .
ولا تتحضَّري أبدًا . .
فقد سَقَطتْ على شَفَتيْكِ
كلُّ حَضَارةِ الْحَضرِ

أحبيني . .
كزلزال . . كموت غير منتظر . .
وحلّي شعرك المعجونَ . .
بالكبريت والشرر . .
يهاجمني . . كذئب جائع خطر
وينهشني . . ويضربني . .
كما الأمطارُ تضربُ ساحلَ الجزر . .
وأبقيني . . على كفيك
مثلَ النقش في الحجر . .

*

أحبيني . . ولا تتساءلي كيفا . .
ولا تتلعثمي خجلاً
ولا تتساقطي خوفًا
أحبيني . . بلا شكوى
أيشكو الغمدُ . إذ يستقبلُ السيفا ؟
وكوني البحرَ والميناءَ . . .
كوني الأرضَ والمنفى
وكوني الصحوَ والإعصارَ
كوني اللينَ والعنفا . .

أحِبِّيني . . بألفِ وألفِ أسلوبِ
ولا تتكرَّري كالصيف . .
إنِّي أكرهُ الصيفا . .
أحِبِّيني . . وقُوليها
لأرفُضُ أنْ تُحبِّيني بلا صوتِ
وأرفُضُ أن أُواري الْحُبَّ
في قَبْرٍ من الصَّمْتِ
أحِبِّيني . . بعيداً عن بلاد القَهْر والكبت
بعيداً عن مدينتنا التي شَبعتْ من الْموْت . .
بعيداً عن تعطُّبها . .
بعيداً عن تخشُّبها . .
أحِبيني . . بعيداً عن مدينتنا
التي من يوم أنْ كانتْ
إليها الحبُّ لا يأتي . .

*

أحِبِّيني . ولا تخشَيْ على قَدَميْكِ
- سيِّدتي - من الماء
فلنْ تتعمَّدي امرأةً
وجسمُكِ خارجَ الماءِ

وشَعْرُكِ خارجَ الماء
فَنَهْدُكِ . . بَطّةٌ بيضاءُ . .
لا تحيا بلا ماء . .
أحبِّيني . . بطُهْري . . أو بأخطائي
بصَحْوي . . أو بأنوائي
وغَطِّيني . .
أيا سَقْفًا من الأزهارِ . .
يا غابَاتِ حنَّاءِ
تغني . .
واسْقُطي مَطَرًا
على عَطَشي وصحرائي . .
وذُوبي في فمي . . كالشَّمْع
وانْعَجِني بأجْزَائي
تغني . . واشْطُري شفَتي
إلى نِصفَيْنِ . . يا قمرًا بسيناء . .

يوميَّات رَجُلٍ مَهْزوم

لَمْ يَحْدُثْ أبدًا . . أنْ أحْبَبْتُ بهذا العمقْ
لَمْ يَحْدُثْ . . لم يَحْدُثْ أبدًا . .
أنّي سَافَرْتُ مع امرأةٍ . .
لبلادِ الشَّوقْ . .
وضربتُ شواطئ عينيها
كالرَّعدِ الغاضبِ ، أو كالبَرْقْ
فأنا في الماضي لم أعشَقْ
بل كنتُ أُمثِّل دورَ العِشْق . .
لَمْ يحدثْ أبدًا . .
أن أوصلني حبٌّ امرأة حتى الشنق
لم أعرفْ قبلكِ واحدةً
غلبتني . . أخذتْ أسلحتي . .
هَزَمَتْني . . داخلَ مملكتي
نَزَعتْ عن وجهي أقنعتي . .
لم يحدثْ أبدًا سيّدتي
أنْ ذقتُ النارَ . . وذقتُ الحرق

كُوني واثقةً . . سيِّدتي
سيُحبُّكِ . . آلافٌ غيري
وستَسْتلمينَ بريدَ الشَّوق
لكنَّكِ . . لن تَجدي بَعْدي
رَجُلاً يهواكِ بهذا الصِّدْق
لنْ تجدي أبدًا . .
لا في الغَرْبِ . . ولا في الشرق . .



بالأحمرِ فقط

في كُلِّ مكان في الدفتَر
اسمُك مكتوبٌ بالأحمَر
حُبُّك تلميذٌ شيْطانٌ
يتسلَّى بالقَلَمِ الأحمَر
يرسُمُ أسماكًا من ذهَب
ونساءً من قَصَبِ السُّكَّر
وهُنُودًا حُمْرًا . . وقطاراً
ويحرِّك آلافَ العسكَر
يرسُمُ . . طاحونًا، وحصانًا
يرسُمُ طَاوُوسًا يَتَبَخْتر . .
وامرأةً يرسمُ سارية . .
ولها كفان . . من المَرمَر
يرسُمُ عُصْفُوراً من نارِ
مشتعلَ الريشَ . . ولا يحذَرْ
وقواربَ صيد، وطُيُوراً
وغُرُوبًا وَرْديًّ المئزَر

يرسُمُ بالوَرْدِ وبالياقوت
ويتركُ جُرْحًا في الدفتر
حُبُّكِ رسَّامٌ مجنونٌ
لا يرسمُ إلاَّ . . بالأحمَر
ويُخَرْبِشُ فوقَ جدار الشمسِ
ولا يرتاحُ . . ولا يضْجَر . .
ويُصوِّرُ عَنْتَرَةَ العَبْسيَّ
يصوِّرُ عرشَ الإسْكندَر . .
ما كلُّ قياصرَةِ الدنيا؟
ما دُمْتِ معي . . فأنا القيصَر . .



إلى صَـــامِـــتَة

تكلَّمي . . تكلَّمي . .
أيَّتُها الجميلةُ الْخَرْسَاءْ
فالحبُّ . . مثل الزَّهرة البيضَاء
تكونُ أحلى . . عندما
تُوضَعُ في إناء . .

*

تحدَّثي إليَّ . . في بساطةٍ
كالطَّير في السماءِ . .
والأسماكِ في البحار
واعتبريني منكِ يا حبيبتي
هل بيننا أسرار؟
أبَعدَ عامَيْنِ معًا . .
تبقى لنا أسرار؟

أسألكَ الرَّحيـــلا

لنَفترق قليلاً . .
لِخَيْر هذا الحبِّ ، يا حبيبي
وخيرنا . .
لنفترق قليلاً . .
لأنني أريدُ أن تزيد في محبَّتي
أريدُ أنْ تكرهَني قليلاً . .
بحقِّ ما لدينا . .
مِنْ ذكَرٍ غاليةٍ كانتْ كلَيْنا . .
بِحَقِّ حُبٍ رائعٍ . .
ما زالَ منقوشًا على فَمَيْنَا
ما زالَ محفُورًا على يَدَيْنا . .
بحقِّ ما كَتَبْتَهُ . . إليَّ مِنْ رَسَائلِ . .
وَوَجْهكَ المزروعِ مثلَ وردةٍ في داخلي . .
وحُبِّكَ الباقي على شَعْري . . على أناملي
بِحقِّ ذكْرياتنا
وحُزْننَا الجميل وابتسامنا . .

وحُبِّنا الذي غدا أكبرَ مِنْ كلامِنا
أكبرَ من شفاهنا . .
بحقِّ أحلى قِصَّةٍ للحُبِّ في حياتِنَا
أسألُكَ الرحيلا . . .
لنَفْتَرِق أحبابا . .
فَالطيرُ كلَّ موسمٍ . .
تفارقُ الهضابا . .
والشمسُ يا حبيبي . .
تكونُ أحلى عندما تحاول الغيابا
كُنْ في حياتي الشكَّ والعذابا
كُنْ مرةً أسطورةً . .
كُنْ مرةً سرابًا . .
وكُنْ سؤالاً في فمي
لا يعرفُ الجوابا . .
من أجل حبٍ رائعٍ
يسكنُ منا القلبَ والأهدابا
وكَيْ أكونَ دائمًا جميلةً
وكَيْ تكونَ أكثرَ اقتربا
أسألُكَ الذهابا . .

لنفْتَرق . . ونحنُ عاشقان . .
لَنفْتَرق برغم كُلِّ الْحُبِّ والحنان
فمنْ خلال الدَّمْعِ يا حبيبي
أريدُ أن تراني
ومن خلال النار والدُخان
أريدُ أن تراني . .
لنَحْتَرق . لنَبْك يا حَبيبي
فقد نَسينا . .
نعمةَ البُكاء من زَمَان
لنَفْتَرق . .
كي لا يصيرَ حُبُّنَا اعْتيَادًا
وشَوْقُنا رَمَادًا . .
وتَذْبُلَ الأزْهَارُ في الأواني . .

*

كُنْ مطمئنَّ النفس يا صغيري
فلم يزل حبُّكَ . . ملءَ العين والضَّمير
ولم أزلْ مأخوذةً بحبِّكَ الكبير
ولم أزلْ أحلم أن تكونَ لي . .
يا فارسي أنتَ . . ويا أميري

لكنَّني . . لكنَّني . .

أخَافُ منْ عاطفتي

أخَافُ منْ شعُوري

أخافُ أنْ نسأمَ منْ أشواقنا

أخَافُ منْ عنَاقنا . .

فباسْمِ حُبٍّ رائعٍ

أزْهَرَ كالربيع في أعماقنا . .

أضَاءَ مثلَ الشَّمْسِ في أحداقنا

وباسْمِ أحلى قِصَّةٍ للحُبِّ في زمانِنا

أسألُكَ الرَّحيلا . .

حتى يظلَّ حُبُّنا جميلا . .

حتى يكونَ عُمْرُهُ طويلا . .

أسْألُكَ الرحيلا . .



قَصيدة الحُزن

علَّمني حبُّكِ . . أن أحزنْ
وأنا محتاجٌ منذ عصورْ
لامرأةٍ تجعلُني أحزنْ
لامرأةٍ أبكي فوق ذراعيْها
مثلَ العصفور
لامرأةٍ . . تجمعُ أجزائي
كشظايا البلّور المكسور

*

علَّمني حُبُّكِ، سيِّدتي، أسوأ عادات . .
عَلَّمني . . أفتحُ فنْجَاني
في الليلة ، آلاف المرَّات . .
وأُجرِّب طِبَّ العطَّارينَ . .
وأطْرُوقُ بابَ العرَّافات . .
عَلَّمني . . أخرجُ من بيتي . .
لأُمَشِّطَ . . أرصفة الطُّرُقَات
وأُطاردَ وجْهَكِ . .

في الأمطارِ . .
وفي أضواء السيَّارات . .
وأُطاردَ ثوبَكِ . .
في أثواب المجهولات
وأُطاردَ طيفَكِ . .
حتَّى . . حتَّى . .
في أوراق الإعلانات . .
عَلَّمني حُبُّكِ . .
كيف أهيمُ على وجهي . . ساعات
بحثًا عن شعر غَجَرِيٍ
تحسدُهُ كلُّ الغَجَريَّات
بحثًا عن وجه . . عن صوتٍ . .
هو كلُّ الأوجُهِ والأصوات

*

أدخلَني حبُّكِ . . سيِّدتي
مُدُنَ الأحزان . .
وأنا منْ قبلكِ لم أدخُل . .
مُدُنَ الأحزان
لم أعرف أبدًا . .

أنَّ الدَّمعَ هو الإنسان
أنَّ الإنسانَ بلا حُزْن
ذكرى إنسان . .

*

علَّمني حُبُّك . .
أنْ أتصرَّفَ كالصبيان
أنْ أرسمَ وجهك بالطَّبْشُورِ
على الحيطان . .
وعلى أشرعة الصَّيَّادينَ
علَّمني حبُّك . . كيفَ الحبُّ
يُغيِّرُ خارطةَ الأزمان . .
علَّمني . . أنِّي حينَ أُحبُّ . .
تكُفُّ الأرضُ عن الدوَرَان
علَّمني حبُّك أشياء . .
ما كانتْ أبداً في الْحُسْبَان
فَقَرأتُ أقاصيصَ الأطفال . .
دخلتُ قُصُورَ ملوك الجانْ
وحلمتُ بأنْ تتزوَّجَني
بِنْتُ السُّلطَان . .

تلكَ العَيْنَاهَا . .
أَصفى منْ ماء الْخُلجَان
تلكَ الشَّفَتَاها . .
أشهى من زَهْر الرُّمَّان
وَحَلمتُ بأنِّي أخطفُها مثلَ الفُرسان . .
وحلمتُ بأني أُهديها أطواقَ اللؤلؤ والْمَرجَان
عَلَّمني حبُّك، يا سيِّدتي، ما الْهَذَيان
عَلَّمني . . كيفَ يمرُّ العُمرُ . .
ولا تأتي بنتُ السُّلْطان . .

*

عَلَّمني حُبُّك . .
كيفَ أُحبُّك في كُلِّ الأشياء
في الشَّجَر العاري، في الأوراقِ اليابسةِ الصفراء
في الجوِّ الماطرِ . . في الأنواء . .
في أصْغَرِ مقهى . . نَشْرَبُ فيهِ . .
مساءً . . قهوتَنا السوداء . .
عَلَّمني حُبّك . . أن آوي . .
لفنادقَ ليسَ لها أسماء
ومقَاه ليس لها أسماء

عَلّمني حبُّك . . كيفَ الليلُ
يُضَخِّمُ أحزانَ الغُرَبَاء . .
عَلّمني . . كيفَ أرى بيروت
امرأةً . . طاغيةَ الإغراء . .
امرأةً . . تلبسُ كُلَّ مساء
أجملَ ما تملكُ من أزياء
وتَرُشُّ العطرَ على كفيها
للبَحَّارة . . والأُمَرَاء . .
عَلّمني حبُّك أنْ أبكي من غير بُكاء
عَلّمني كيفَ ينامُ الحُزن
كغُلام مَقْطُوع القَدَمَيْن . .
في طُرُق (الرَوْشة) و (الحمراء) . .
عَلّمني حبُّك أن أحزَن . .
وأنا محتاجٌ مَنذُ عُصُور
لامرأة . . تجعلُني أحزن . .
لامرأةٍ أبكي فوق ذراعَيْها
مثلَ العصفور . .
لامرأة تجمعُ أجزائي . .
كشظايا البللور المكسور . .

أحبُّكِ

أُحبُّك . . حتَّى يتمَّ انطفائي
بعَيْنَيْنِ . . مثل اتِّساعِ السَّماء
إلى أن أغيبَ وريدًا . . وريدًا
بأعماق منجدل كستنائي
إلى أن أُحسَّ بأنّك بعضي
وبعضُ ظنوني . . وبعضُ ردائي
أُحبُّك . . غيبوبةً لا تُفيقُ
أنا عَطَشٌ يستحيلُ ارتوائي
أنا جَعْدَةٌ في مطاوي قميص
عرفتُ بنَفْضَاته كبْريائي
أنا - عَفْوَ عينيك - أنت . . كلانا
ربيعُ الربيعِ . . عطاءُ العطاء
أُحبُّك . . لا تسألي أي دعوى
جرحتُ الشموسَ أنا بادِّعائي
إذا ما أُحبُّك . . نفسي أُحبُّ
فنحنُ الغناءُ . . ورَجْعُ الغناء

القَميصُ الأبيَض

أَلَستَ تُهنِّئني با بخيلُ
بهذا القميصِ الجديد عليّ
جديدٌ . . وتسكتُ عني وعنهُ
أأنتَ الحنونُ . . أأنتَ الوفيّ؟
مغارزُ خيطانه . . أغنياتٌ
فيا جاحدَ الطيب، قل أي شيّ
سألتُكَ دغدغ غروري فإنّ
جميلاً لديكَ، جميلٌ لديّ
توَسَّعَ عند مساقط كُمِّي
وضاقَ . . وضاقَ على ناهديّ
ورسقُ التطاريز والنَّمْنَماتُ
ورَشّاتُ ضوء . . ورَشّاتُ فيّ
تباركَ هذا القميصُ، ملأت
ظنوني نقاءً، ملأت يديّ
سرقت نهارَ عيوني فعفواً
إذا يبسَ الضوءُ في ناظريّ

تذكّرتُ تفاحةً عندنا
إذا أزهَرت أمْطَرَتنا حُليّ

*

لأنتَ رفيقَ الشموس رفيقي
كأنَّ عُراكَ تفتَّحن فيّ
صباحُ الأصابيْح أنتَ .. توالَد
نجوماً، أيا غصنَ لوزٍ صبيّ
على حَجَر العين صَفِّق قميصًا
نقيًّا كوجهِ بلادي النقيّ



رحلة في العيون الزرق

أسوحُ بتلكَ العيون
على سُفُن من ظنون
أنا فاتحُ الصحوِ.. فاتحُ
هذا النقاءِ الحنون
أشقُّ صباحًا أشقُّ
ضميرًا من الياسمين
وتعلمُ عيناكِ أنّي
أجدِّفُ عَبْر القرون
أُكوِّنُ جُزْرًا وأُغرقُ
جُزْرًا. فهل تدركين؟
أنا أول المبحرين على
أزلٍ من لحُون
حِبَالي هناك فكيفَ
تقولين هذي جفون؟
أنا يوم غنَّتْ صواريَّ
تجرحُ صدرَ السكون

تساءلت والفُلْك سكرى
وبحّارتي يُنشدون
أفي أبَدٍ من نجومٍ
ستُبحر ؟ هذا جنون
قذفتُ قلوعي إلى البحر
لو فكّرتْ أن تهون
ويسعدني أن ألوبَ
على مرفأ لن يكون
عزائي إذا لم أعُدْ
أن يقال : انتهى في عيون



حَبيبي

لا تسألوني . . ما اسمُهُ حبيبي
أخشى عليكُمْ ضَوْعَةَ الطيوب
زقُّ العبير إنْ حطمتُمُوهُ
غرقتُمُ بعاطرٍ سكيبِ
والله . . لو بحتُ بأيِّ حرفٍ
تكدَّسَ اللَّيْلَكُ في الدروبِ
لا تبحثوا عنهُ هُنَا بصدري
تركتُهُ يجري مع الغروبِ
ترونَهُ في ضحكة السواقي
في رفَّةِ الفراشة اللعُوبِ
في البحر، في تَنفُّسِ المراعي
وفي غناء كُلِّ عندليبِ
في أدمعِ الشتاءِ حين يبكي
وفي عطاء الديمةِ السَّكُوبِ
لاتسألوا عن ثغره . . فهلاَّ
رأيتُمُ أناقةَ المغيبِ

ومقلتاهُ شاطئا نقاءٍ
وخصرُهُ تهزُّهُ القضيبِ
محاسنٌ . لا ضمَّها كتابٌ ولا ادَّعتها ريشةُ الأديبِ
وصدرُهُ . . ونحرُهُ . . كفاكم
فلنْ أبوحَ باسمِهِ حبيبي



لا نهرَ يرجع للوراء

ما عاد يمكن أن أكون كما أنا
أو أن تكوني أنت
واحدة النساء
هذا غباء
ما عاد يمكن أن أكرر دهشتي
وحماستي
وتوتري العصبي في وقت اللقاء . .
أرأيت نهرًا عاد يومًا للوراء؟!

* * *

لا تَغْضَبي منِّي . .
إذا حاولتُ أن أضَعَ النُقَاطَ على السُّطُور
أنا واقعيٌّ في مُخَاطبة النساءِ . .
ولستُ أخلطُ بين صوت العقلِ، أو صوتِ الشُّعُور . .
كلُّ الظروف تغيَّرتْ
وتغيَّرت أصواتُنا.
وتغيَّرتْ كلماتُنا.

وتغيَّرت عاداتُنا .

وتغيَّرتْ . .

حتى الوسائدُ، والمقاعدُ، والسُّتور . .

ومكانُ أحواض الزُّهُور . . .

* *

إبْريلُ لا يأتي إلينا مرَّتَيْن . .

والبَرْقُ ليس يُضيءُ للعشَّاق يومًا مرَّتَيْن . .

والشِّعْرُ لا يُتْلَى على سَمْع الحبيبة مَرَّتَين . .

هذي هي الدُّنْيا . . وليسَ بوسعنا صُنْعُ الْمَطرْ . . .

في الحُلُم . أو تغييرُ هندسة القَمَر . .

* *

أنا كنتُ أسْكُنُ من زمانٍ

عندَ خطِّ الاستواء . .

كانَتْ عناويني مطرَّزَةً

على شَفَتيْك، سيِّدتي، وأعناق الظِّبَاء . .

واليومَ . . لا عُنْوانَ لي إلاَّ العَرَاء . . .

* *

هي حالةٌ مجنُونةٌ مرَّت بنا . .

ببُرُوقِها، ورُعُودِها .

ورياحها، وثلوجها.
هل يا تُرى في وسْعنا
بعدَ اعتدال الطقْس في أعماقنا
تفجيرُ ألغام الجُنُون؟ . .

**

أنا مُدْركٌ أنِّي جرحتُك بالحوار.
وجرحتُ نَفْسي . .
حين ألقيتُ الزجاجَ على حقول الجُلَّنار.
أنا مُدْركٌ أنِّي انتحرتُ بخنْجَري
وكسرتُ مصباحَ النهارْ.
فإذا ارتكبتُ حَمَاقتي
فلأنَّي لا أتقنُ التمثيلَ من خلف السِّتَار . .

**

أنا خائفٌ من آلة التسجيلِ،
من صوتي . . ومن لُغَتي . .
ومن شعْري . . ومن نثْري . .
فما جدوى كلامي؟
وأنا أضَعْتُ الذاكرَهْ.
إنِّي أُحدِّقُ في الوُجُوه، وفي العيُون،

فلا أرى أحدًا أمامي .
وأنا أُحَدِّقُ في يدَيْكِ . .
فلا أرى قُطْنَا . . ولا عسلاً . .
ولا ما قيلَ عن ريش النَّعَام .
وأنا أُحَدِّقُ في ملايات السريرِ . . .
فلا أرى إلا حُطَامي ! ! . .
هذا هو التاريخُ يذبحُنا . .
فكيف نفرُّ من سيف العُصُور ؟
إسْبَانيا سَقَطَتْ . .
فلا وردٌ ، ولا آسٌ ،
ولا ماءٌ يُغنِّي في نوافير القُصُور .
ما عاد يمكن أن أُعيدَ قَصَائدي الأولى
وأرقُصَ فوق موسيقى البُحُور . .
ما عاد يمكنُ أن أُعيدَ لمهدك المَسْحُوق . .
أيَّام الشَّجاعة ، والتمردِ ، والغُرُور . .
فَعَقاربُ الأيَّام ، سيّدتي ، تَدُور . .
ومواقفي . .
وعواطفي أيضًا تدُور ! !

* *

هذا زمانٌ ضيِّقٌ .
صارتْ به الكلماتُ تبحثُ عن فَضَاء .
صارتْ به حريَّةُ الإنسان تبحثُ عن هَوَاء .
صارَ اقْترَافُ الْحُبِّ فيه جريمة . .
وتكسَّرتْ فيه النساء على النساء ! ! . . .

* *

رحلَ القطارُ .
ونحنُ ما زلنا على مقهى المحطَّة جالسين . .
ضاعتْ تذاكرُنا . .
ولا زلنا على أرض المحطَّة تائهين .
لصقَتْ معاطفُنا على أجسادنا . .
وتبعثرت مُدُنُ الحنين .
هل نحنُ حقًا راحلونَ مع الضُّحَى . .
أم نحنُ غيرُ مسافرين؟؟ . .

* *

رحلَ القطار . .
ولا مكان لنا على هذي الخريطة
لا في الشمال ، ولا في الجنوب
لا في الصباح ، ولا في الغروب

رحل القطار . .

وليس يمكننا الذهاب إلى الطفولة

وإلى بياض الياسمين .

* *

ما عاد لي بيت أعود إليه

في وطن النساء . .

أرأيت نهرًا عاد يومًا للوراء؟!

لندن (خريف ١٩٩٥).



أنت لولا الشعر
ما كنتِ بتاريخ النساء

لم أزلْ من ألف عام
لم أزل أكتبُ للناس دساتير الغرام
وأغنّي للجميلاتِ
على ألفَ مقام ومقامٍ
أنا من أسَّس جُمهوريةً للحُبِّ
لا يسكُنها إلا الْحمَامْ

✻ ✻

لم أزَلْ من ألفِ عام
أحملُ الأُنثَى على ظهْري
وأُرْسيها على برِّ السَّلام .
لم أزَلْ أعمَلُ كالنَّحْلَةِ في جَمْع الأزاهيرِ . .
وتطبيعِ العصافيرِ . .
وفي تزيين قاعاتِ الشآم . .
أنا من ربَّيْتُ دُودَ القزِّ في أشجار عينيك . .
وحرَّكتُ أحاسيسَ الرخَام . . .

منذُ أن غنَّيتُ أُولى كلماتي
وأنا أرفعُ شمسَ العشْقِ في وجه الظَّلاَمْ
لم أنَم طيلةَ قَرْنٍ كاملٍ
يا تُرى، في أي قَرْنٍ قادم . .
سوفَ أنام؟؟ . .

* *

قبلَ أن أكتبَ في خصرك شعْرًا
لم يكُن عالَمُنا يعرف ما ريشُ النَّعَامْ . . .

* *

فاشكُريني . .
كلَّما شاهدت أغصانك في ماء المرايا . .
فبدُوني لن يكُونَ القدّ قدًا . . .
أو تكونَ الساقُ ساقًا . .
أو يكونَ الكُحْلُ كُحلاً . .
أو يكونَ الوردُ وَرْدًا . . .
وبدُوني . .
لن يكونَ الشِّعرُ إعصارًا . . وسيفًا يتحدَّى . .
وبدُوني . .
لن ترى في كُتُب التاريخ عَفْراءَ وليلَى . .

أو تَرَى هندًا . . ودَعْدا . . .
واشْكُريني مرةً ثانيةَ
كلَّما جاءَ ربيعٌ أو شتاء . .
فبدوني لن تكُوني قَمَرا . .
يسكُبُ الفضَّةَ والثلجَ على نار المساء . .
وبدوني . .
لم يكُن ثَغْرُكِ مَرْسُومًا كخَطِّ الاستواء!! .

* * *

يا التي رصَّعتُ كشمير يَديها
بخيُوط من قصب
وحواشي ثوبها
برقرقات الذهبْ
والتي مرَّتْ كعصفُور ربيعيًّ
بتاريخ الأدب
أشكري الشعر كثيراً
أنتِ، لولا الشِّعرُ، يا سيِّدتي
لم يكن اسمُك مذكوراً
بتاريخ النساء!

سِبْتَمبر

الشِّعرُ يأتي دائمًا
مع المَطَرْ
ووجهُك الجميلُ يأتي دائمًا
مع المَطَرْ
والحبُّ لا يبدأُ إلاَّ عندما
تبدأُ مُوسيقى المَطَرْ . .

* * *

إذا أتى أيلولُ، يا حبيبتي
أسألُ عن عَينيْكِ كلَّ غَيْمةٍ
كأنَّ حُبِّي لكِ
مربُوطٌ بتوقيتِ المَطَرْ . . .

* * *

مشاهدُ الخريف تستَفزُّني . .
شُحوبُكَ الجميلُ يَستَفزُّني .
والشفةُ المشقُوقةُ الزرقاء . . تَستَفزُّني .
والحَلَقُ الفِضيُّ في الأذنَين . . يَستَفزُّني .

وكَنْزَةُ الكشمير . .
والمظلّةُ الصفراءُ والخضراءُ . . تَسْتَفِزُّني .
جريدةُ الصباحِ . .
مثلَ امرأة كثيرةِ الكلامِ . . تَسْتفِزُّني .
رائحةُ القهوةِ فوق الورقِ اليابسِ . .
تَسْتَفِزُّني . .
فما الذي أفعلُهُ ؟
بين اشتعال البَرْق في أصابعي . .
وبين أقوال الحبيب المُنْتَظَرْ ؟

***

ينتابُني في أوّل الخريف
إحساسٌ غريبٌ بالأمانِ والخَطَرْ . .
أخافُ أن تقتربي . .
أخافُ أن تبتعدي . .
أخشى على حَضَارة الرخام من أظافري . .
أخشى على مُنَمْنَمات الصَّدف الشاميِّ من مشاعري . .
أخافُ أن يجرفَني موجُ القضاء والقَدَر . .

***

هل شهرُ أيلولَ الذي يكتُبُني ؟

أم أنَّ من يكتُبُني
هُوَ المَطَر؟؟
أنت جُنُونٌ شتَويٌّ نادرٌ . .
يا ليتني أعرفُ يا سيِّدتي
علاقةَ الجُنونِ . . بالمَطرْ ! !

* * *

سيِّدتي
التي تمرُّ كالدهْشَةِ في أرضِ البَشَرْ . .
حاملةً في يدها قصيدةً
وفي اليد الأخرى قَمَرْ . . .

* * *

يا امرأةً أُحبُّها . .
تُفَجِّر الشعرَ إذا داستْ على أيِّ حَجَرَ . .
يا امرأةَ تحملُ في شُحُوبها
جميعَ أحزان الشَّجَرْ . .
ما أجملَ المَنفَى إذا كُنَّا معًا . .
يا امرأةً تُوجزُ تاريخي . .
وتاريخَ المَطَرْ ! !

لندن ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦

محمد رضوان

★ ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م .

★ حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

★ صحفي بدار الهلال - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر.

★ يتبع المنهج النفسي في أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية.

★ من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - أنيس منصور - أحمد عبد المجيد - إبراهيم عيسى - عبد العليم القباني - د. مقداد يالجن - سعد حامد - كمال النجمي).

★ له خبرة في الصحافة الأدبية، حيث عمل في سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديراً لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» القاهرية.

★ **من مؤلفاته التي صدرت:**

١ - صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك

٢ - الصعلوك الساخر، عبد الحميد الديب .

٣ - شاعر النيل والنخيل، صالح جودت.

٤ - رحلتي مع القلم.

٥ - شاعر الأطلال، ناجي.

٦ - شاعر الجندول، على محمود طه (تحت الطبع).

٧ - اعترافات شاعر الكرنك، أحمد فتحي.

٨ - شعراء الحب.

٩ - نزار قباني، شاعر الحب والحرية.

١٠ - نزار: قصائد وراء الأسوار.

١٢ - هوى الشعراء «تحت الطبع»

(ت ٣٣٨٤٠٠٩ - موبايل ٠١٠٦٦٥٩٢٢٤)

الفهرس